مجلة زانكوّ للعلوم الإنسانية
ISSN (Print):2218-0222
ISSN (Online): 2412-396X

Vol.29 Issue Con2. 2025
ID No.4566 (PP 94-118)
https://doi.org/10.21271/zjhs.29.Con2.7

بحث

# منهجية القرآن الكريم في بناء الفرد المسلم (دراسة موضوعية)

**حياة علي عبد الولي/** كلية العلوم الإنسانية ، جامعة السعيد – تعز، اليمن

**ملخص**

في ظل المخاطر التي تحَدِّق بالمجتمعات الإسلامية اليوم، من صراعات وحروب داخلية وخارجية، مباشرة وغير مباشرة، والتي حالت دون استقرار الفرد، واستلاب أمنه وأمانه، وولدت لدى الكثير منهم حالة من الإحباط، وحولت البعض منهم إلى وقود لتلك النزاعات التي لا تنتهي، فضلا عمّا أفرزته من فساد وفقر، وتراجع للمؤسسات التنموية والمدنية عن القيام بدورها الفاعل، وفي ظل تنامي أهمية المصالح الشخصية الضيقة، وهيمنة مجتمع الاستهلاك وانحدار الأخلاق، وساعد في ذلك الاستخدام غير الموجه لوسائل التواصل والتكنولوجيا، كان لابد من تدارك الوضع، وإدراك أن أي تغيير في المجتمع مرهون بأعادة تأهيل الفرد وبنائه، ولما كان التصور القرآني للفرد يمثل رؤية متكاملة منسجمة مع فطرة الإنسان السوية ومواكبة لمتغيرات الزمان والمكان. آثرت استجلاء منهجية القرآن الكريم في بناء الفرد المسلم القادر على النهوض بمجتمعه.. والذي يهدف إلى: بيان نظرة القرآن الكريم إلى الفرد، العوامل المؤثرة في بناء الفرد المسلم، والثمار التي تعود على المجتمع جراء الامتثال لما جاء به القرآن في هذا الجانب. من أجل تأصيل رؤية إسلامية صالحة لكل زمان ومكان.

**حياة علي عبد الولي**
Hoorerfan17@gmail.com

الاستلام 2025/07/02
النشر 2025/08/20

**الكلمات المفتاحية:**
منهجية،
بناء،
الفرد،
المسلم،

**About the Journal**
Zanco Journal of Humanity Sciences (ZJHS) is an international، multi-disciplinary، peer-reviewed، double-blind and open-access journal that enhances research in all fields of basic and applied sciences through the publication of high-quality articles that describe significant and novel works; and advance knowledge in a diversity of scientific fields.

**المقدمة:**

الفرد "الإنسان" منذ أن وجد على هذه الأرض، كان ولا يزال منبع كل حضارة بشرية، وصانع كل تقدم وباني كل نهضة، فهو نواة المجتمع والمحرك الأساسي له بل هو محور الكون، سُخِر له كل ما في السموات والأرض ليحقق المهمة التي لأجلها خُلِق، وإن افتقار المجتمع للفرد الفاعل، الواعي بآلام وآمال مجتمعه، المستشعر لدوره في الإصلاح والتنمية والتربية والتوجيه يحول دون تطور المجتمع ونهضته، فلا يمكن لمجتمع أن يتطور وينمو إلا بتطور ونمو الفرد، من هنا كان لابد من الوقوف على العوامل التي تجعل الفرد فاعلا مؤثرا قادرا على النهوض بالمجتمع. وإذا أردنا أن نؤسس لمنهجية نبني عليها هذه الفكرة فأفضل ما ننطلق منه هو "القرآن الكريم"، مصدر فكرنا ومعرفتنا الأول، وسبب هدايتنا للتي هي أقوم، كيف لا وهو يقرر نظريته التي سبقت كل النظريات البشرية والفلسفية، والتي تنص على أن إحداث إي تغيير في المجتمع يستلزم أن يسبقه تغيير على مستوى النفس الأنسانية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

**1- التمهيد**

**1-1. مراجعة الأعمال السابقة:**

1- معالم منهج القرآن الكريم في بناء الإنسان فكريًّا دراسة تفسيرية، ربيع يوسف شحاتة الجهمي، القاهرة، جامعة الأزهر، 2020.

2- منهج الإسلام في بناء الفرد والمجتمع، د. شرف الدين أحمد أدم، أستاذ مساعد "قسم الثقافة الإسلامية"، كلية الدعوة الإسلامية، القاهرة – جامعة: الأزهر.

3- منهج بناء الشخصية الإسلامية من الرضاعة إلى ما بعد الجامعة. مؤسسة المربي - الرياض، 1431 ه. لمجموعة باحثيين.

4- بناء الإنسان في القرآن والسنة، رسالة ماجستير. عبد السلام محمد الأحمر. بجامعة محمد الخامس بالرباطم مناقشة:7/ 1997م.

5- أسس بناء الشخصية الفاعلة في المجتمع من منظور، فتح الله كولن، مقالة على الشبكة: رشيد أركيبي، مجلة: دراسات رؤى حضارية، الإصدار الأول، 2023.

6- منهج القرآن في صناعة الإنسان (موسى عليه السلام نموذجا)، د. جمال يوسف، مقال على الشبكة: تاريخ 15/8/2018 ميلادي - 1439/12/3 هجري.

7- عناصر بناء الشخصية في الإسلام. مقالة على الشبكة: رنا عتيق.

**1. 2. مشكلة البحث:** تكمن مشكلة هذه الدراسة في أن بناء المجتمعات خاصة الإسلامية منها، أضحت عملية ملحة لتستعيد مكانتها بين الأمم، بعد إن تنكبت عمّا كانت عليه، وفي ظل الهيمنة العالمية للدول التي تمتلك أسباب القوة والنفوذ وتحتل المراكز الأولى في التنمية، وكيف أولت العنصر البشري جل اهتمامها، ينبغي ألّا تغفل كمسلمين ونحن نسعى لإعداد الفرد المسلم، دور القرآن الكريم ومنهجيته في عملية البناء المنشودة لأفراده والتي سبق بها كل الأديان والشرائع، فكوَّن مجتمعا وصل صيته إلى أصقاع الأرض، وقامت على إثره حضارة ونهضة أذهلت العالم، لذلك حاول أعداء الإسلام هدم ذلك البناء بشتى الوسائل وفق خطط ممنهجة، فحري بنا أن نعرف، كيف ساهم القرآن في بناء الفرد المسلم؟، وما هي المنهجية التي شكلت تلك الصورة الرائعة لمجتمع كان غارقا بالعصبيات والتناحرات؟، بل كيف وضع وزنا للفرد المسحوق تحت سطوة وهيمنة القبيلة والنفوذ الجهوي؟، لدرجة أن أفرادا قلائل استطاعوا أن يؤطروا في قضيتهم مجتمعا بأكمله يوصف بأنه من أصعب المجتمعات عريكة.

سيجيب هذا البحث أيضا عن: كيف ينظر القرآن الكريم إلى الفرد؟ وما هي العوامل المؤثرة في بناء الفرد المسلم؟ ومالذي سيجنيه مجتمع يتنافس في خدمته ويقف على ناصيته أفرادا قد جمعوا من كل شئ أحسنه. ليستحقوا الشهود الحضاري على سائر الأمم ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: 143].

**1. 3. منهجية البحث:** لقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي في تتبع واستقراء الآيات التي تتعلق بموضوع البحث ما استطعت، وقد انتقيت منها ما يفي بالغرض، تجنبا للإطالة، ثم استنبطت من هذه الآيات منهجية القرآن في بنائ الفرد بناءً متوازنا، وذلك من خلال الاستشهاد بكل آية في موضعها المناسب، ويبان ما ترمي إليه الآيات مع تأكيد ذلك بأقوال المفسرين، ثم بينت نتائج هذا البناء وأثره على المجتمع من خلال وصف بعض النماذج التي قصها علينا القرآن، والتي ظهرت عليها خصائص ومميزات ذلك البناء، فكان لها أثرا كبيرا في حل مشكلات مجتمعاتهم، وساهمت في إحداث نهضة حقيقية صارت ملهمة لكل مصلح وقائد ومربٍ على مر العصور.

**2. التعريف بالمصطلحات:**

**2. 1. المنهج لغة:** "مصدر مشتق من الفعل (نهج) بمعنى: طرق أو سلك أو اتبع، والنهج والمنهج، والمنهاج تعني: الطريق الواضح" (الأزهري، 2001م، 6/ 41)، (ابن منظور، 1414هـ، 2/ 383).

**إصطلاحا:** "استعملت في عصر النهضة الأوربية بمعنى: مجموعة من القواعد العامة مصوغة للوصول إلى الحقيقة في العلم" (حسن، 1911م، 231). كما يعرف بأنه "مجموعة من العمليات العقلية والتي توليها أي دراسة علمية اهتماما كبيرا وصولا للحقائق التي تسعى إليها" (الفوال، 2018، 128). وفي التراث الإسلامي: المنهج: "ما يكون وسيلة في حد ذاته أو آلة لتحصيل غيره، وينبغي أن يكون مقيدا بكيفية طلبه وتحصيله، فهو متعلق بكيفية وطريقة العمل" (المولوي، ١٩٦٣م، ٦).

**2.2. تعريف البناء: لغة:** مصدر بنى، وجمعه أبنية، وهو بناء الشيء بجمع بعضه إلى بعض بصفة يراد بها الدوام والثبوت، تقول: بنيت البناء وأبنيه. والبناء ضده الهدم، والبناء يطلق في الأصل على الشيء المبني كالبيوت التي تسكنها العرب في الصحراء، وعند النحاة: لزوم حالة واحدة في آخر الكلمة، مهما اختلفت العوامل الداخلة عليها (ابن فارس، 1979م، 1/ 302)، (ابن منظور، 1414هـ، 14/ 95). ويـــستعمل في المجـــاز بمعنى التأسيس والتنمية (عمر، ٢٠٠٨م، ٢٥٠/١).

**اصطلاحا:** عرفه الكفوي بقوله "وضع الشيء فوق الشيء على صفة يـراد بها الدوام والثبوت" (أبو البقاء، ص: 241).

**2. 3. تعريف الفرد: لغة:** أصل يدل على الوحدة وهو بمعنى الوِتْر، أو الذي لا نظير له، والجمع أفرادا وفرادى، والفرد مقابل للزوج، وهو ما يتناول شيئًا واحدًا دون غيره، فيكون الفرد من الناس، الرجل المنقطع النظير الذي لا مثيل له، والفرد يوصف به الله تعالى، فنقول: هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، أي: الذي لا ثاني له، ولا شبيه ولا نظير أو مثيل له (ابن فارس، 1979م، 4/ 500)، (الجرجاني، 1983م، 166).

**اصطلاحا:** "هو الكائن البشري بصفاته المحددة اجتماعياً، وعقلياً وانفعالياً وإرادياً" (داود، 1991). وقيل: هو الإنسان أو الشخص أو أي شيء معين مستقل بذاته، يعامل كوحدة واحدة لا يقبل التجزئة والانقسام، وعلى المفهوم الشائع، فن لفظة "فرد" ومجموعها "أفراد" تشير إلى الأشخاص. ويشكل الأفراد بمجموعهم "نواة المجتمع". (ويكيبديا، 2024). وفي علم الاجتماع: "الفرد وحدة من الوحدات التي يتكون منها أي مجتمع، كالمواطن في دولة ما، فهي آحاد حقيقة تشكِّل منها الجسم الاجتماعي" (صليبيا، 1982م، 139).

**وعليه فبناء الفرد:** يعني عملية الإعداد والتنمية لمختلف جوانب شخصيتة، وتنمية مواهبه وإكسابه المؤهلات اللازمة لأن يكون له دورا فعالا يعود على مجتمعه بالخير والنفع ويساهم في تقدمه ونهضته. فيكون البناء لكل فرد بالتركيز على مجموعة الخصائص والصفات التي تميزه عن الآخرين ولكن في إطار التعاون والتكامل الاجتماعي.

**3. الفرد في القرآن الكريم:** لا يوجد دين من الأديان السماوية أومنهج من المناهج التي عرفتها البشرية، لديها رؤية ونظرة شاملة، منصفة، واقعية، تجاه الفرد الذي ينتمي إليها كدين الإسلام، والتي فصلها القرآن حتى على مستوى الاستعمال اللفظي كما يأتي:

**3. 1. استعمال لفظ (فرد) في القرآن:** هذا اللظ ورد في القرآن في أربعة مواضع، موضعان بسورة مريم: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (80)، ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (95)، وموضع في سورة الأنبياء ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (89)، وجميعها جاءت بمعنى: وحيدا (الطبري، 2000م، 11/ 543)، الأصفهاني (1412هـ، 629). وجاءت بصيغة الجمع في موضع الأنعام. ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (94)، أي واحد بعد واحد.

**3. 2. الألفاظ المرادفة للفظ (فرد) في القرآن:**

**1- (إنسان)** كما ذكرنا سابقا فن لفظ (فرد) لم يستعمله القرآن بالمعنى الذي نحن بصدده، ولذلك آثر اللفظ المرادف له وهو: **(إنسان)** أكثر من غيره فقد ذُكِر خمس وستون مرة، وزعت في ثلاث وأربعين سورة، وبعيدا عن الاختلاف في إشتقاقاته ومعانيها، يتضح أن هذا اللفظ هو الذي يتفق ونظرة القرآن لهذا الكائن، إن لفظ (إنسان) جاء في غاية الدقة، لأنه يبين خصائص الفرد واستعداده للخير والشر، للسمو والتدني، للشيء ونقيضه، "وعندما استخدم القرآن لفظ "إنسان" خصوصا، فقد أورده في معرض وصفه بصفات متصلة بالقيم والأخلاق النفسية إيجابا وسلبا ؛ ومنها: جهول، ظلوم، يؤوس، كفار، قنوط، وجزوع (دوقية، 2023) ، وإن مناط إنسانيته تكمن في إمكانية ارتقائه إلى درجة أن يصبح خليفة الله في أرضه، وأن يكون مؤهلا لتحمل تبعات التكليف والأمانة المناطة به ك نسان، لأنه الأوحد بين الكائنات قد اختصه الله بالعلم والبيان وميزه بالعقل، مما جعله معرضا للابتلاء بالشر والافتتان بالخير (بنت الشاطئ، /١٩٦٩م، 15).

**2- لفظ (بشر):** هذا اللفظ ورد كاسم جنس، في خمس وثلاثين موضعا، منها خمسة وعشرون موضعا في بشرية الرسل والأنبياء. بنت الشاطئ (م. س، 11)، ويطلق لفظ "بشر" على الإنسان في معرض الحديث عن الجانب الظاهر المادي فقط؛ وهو ما أكدته اللغة وأفصح عنه الاستعمال القرآني. فمثلا: أي موضع عبر عن الإنسان باعتبار جثته وظاهره المادي نجد أنه خصه بلفظ "بشر"، نحو: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ الفرقان:54، ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: 71]، ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران:47، مريم:20]، كذلك قوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾ [مريم:17]، أي تشبه لها وتراءى لها بصورة بشر (الأصفهاني، 1412هـ، 125). وباستقراء هذه المواضع، يتبين أن البشرية في الإنسان هي آدميته المادية، المبنية على احتياجه للماديات من أكل وشرب وتمتع بملذات الحياة. حيث يشترك فيها بنو آدم جميعهم على حد سواء على وجه المماثلة (بنت الشاطئ، م. س، 11).

نخلص مما سبق إلى أن التعبير بـــ"الإنسان" هو المطابق لخلقته وطبيعته وميزاته، بينما لفظ "بشر" يشير إلى جزئه المادي الظاهر. وهذا يعني أن قيمةَ الفرد أنما تأتي من إنسانيته، لا من بشريته، ويكون الإنسان إنساناً باعتبار فضائله وخصائصه التي تميزه على غيره من المخلوقات؛ كالعلم والعمل والبيان وغيره، هذه الخصائص التي يشملها لفظ (إنسان) هي ما جعلته أهلا لما كُلف به في الحياة وما تطلبه دوره في الأرض، فكان اسما على مسمى (دوقية، 2023). والذي يظهر لي أن هناك دلالة واضحة من استعمال لفظة (إنسان)، وهو توافقها مع الغرض الذي يرمي إليه هذا البحث، حيث يعبر عن الكائن البشري في جميع حالاته وبكل خصائصه، هو يمثل حالة الكائن الأوسط بين الكائن الملائكي، والكائن الحيواني، وهذه الحالة هي النموذج الصالح لعملية البناء التي نحن بصددها، مما يستوجب ضرورة متابعته ليرقى إلى أعلى مراتب الكمال الإنساني، وحمايته من أن تهبط به طبيعته البشرية إلى أحط المراتب، ومن هنا كانت مهمة بناء الفرد (الإنسان) من أكبر التحديات التي تواجه عملية التطور، ويكمن التحدي في الاستمرار والدوام واشتمالها لجميع المراحل العمرية إي من المهد إلى اللحد.

**3. 3. نظرة القرآن الكريم للفرد:** لا بد أن ندرك أن معرفة الفرد نفسه ومعرفة طبيعته وخصائصه، ونقاط قوته وضعفه من قبل المعنين بأمره، هي أول خطوة في عملية بنائه، وأول مصدر يمكننا الوثوق بمعلوماته هو القرآن الكريم، يمكننا من خلاله أن نستكشف نظرته وتصوره عنه بكل إنصاف وشفافية، وعملية بناء الفرد لا تتأتى إلا باستيعاب تلك النظرة والبناء عليها، لإنه تصور صاحب الصنعة، تصور الخلاق العليم، ﴿أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الملك: [14]. كيف يمكن لأي بنَّاء وضع أسس أي مبنى؟، مالم يعرف ويستوعب تصور المهندس الذي وُضِع لهذا البناء، ثم أخذه بعين الاعتبار، إن نظرة القرآن الكريم للإنسان وتوصيف الله له، والتعريف بخصائصه، ملهمة لكل من أراد أن يبني حضارة ويصنع نهضة، ملهمة لكل من يقع على عاتقه بناء هذا الفرد، بل ملهمة للفرد نفسه، باعتباره المسؤول الأول عن عن نفسه، والمعني بالسير في ركب الحضارة لاستعادة مجد أمته. فعلى ضوء هذا التصور، بنى المسلمون مجتمعهم، وأنشؤوا حضارتهم، في حقبة زمنية وجيزة، لم يكن هناك عوامل مساعدة كما هو الحاضر، وأصبحوا قادة العالم.

**الهدف من خلق الإنسان:** تستمد منهجية بناء الفرد في القرآن أهميتها، من الغاية التي خُلق لأجلها، وتشمل هدفين:

الأول: عمارة الارض، كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ هود: [61]. وهذا الهدف متعلق بنا، وهي وظيفة عمومية للإنسان على الارض، أي هي من المصالح العامة التي يتعدى نفعها للمجتمع.

الثاني: عبادة الله لقوله: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]. إنه ذلك العهد الخاص بينه وبين عباده بأن يعبدوه ولا يشركون به أحدا، إذن هي وظيفة خصوصية يعود نفعها على الفرد وحده ويحاسب عليها وحده، لكن الوظيفة العمومية يترتب عليها من الفضل بقدر ما تستوجبه من المسؤولية، كما أنها مما اختُص بها الإنسان لمزاياه وأفضليته على سائر خلقه، فلم يشترك بها الجن كالعبادة، بل لم يسندها حتى للملائكة. يقول الشنقيطي: "خلق الانسان لأمرين: الأول: مختص بنا وهو استخلافنا في الأرض... والثاني: مشترك بين الجن والأنس وهي تحقيق العبادة لله، فقال: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الددو، د.ت.).

**3. 4. الإنسان مخلوق مُكَرَّم** : ينظر القرآن الكريم للفرد على أنه مخلوق مُكَرَّم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ، لقد أرسى القرآن الكريم بهذه الآية أهم قاعدة: وهي أن الأصل في الإنسان الكرامة، وأنها صفة ملازمة له، لكونه إنسان بغض النظر عن لونه وعرقه، دينه ومذهبه، وأن الله سبحانه هو مصدر هذه الكرامة للإنسان، وهذا يعني ضرورة أن يتمسك الإنسان بها ولا يتخلى عنها تحت أي ظرف من الظروف.

يقول ابن باديس (1995م، 128) في تفسيره: بأن تكريمه تعالى للخلق قسمان: عام، خاص: فأما العام، فهو إخراجهم من العدم إلى الوجود، وإعطاؤهم خلقتهم اللائقة بهم ... وأما الخاص، فتكريمه إياهم، وإنعامه على المؤمنين منهم بنعمة الإسلام في الدنيا، وبجنة الخلد في الأخرى. وبالرجوع للآية، يتبين أن التكريم المذكور عام... أي للإنسان من حيث كونه إنسان دون تمييز أو تخصيص لمن آمن به

على من كفر؛ لأنه راجع لأصل الخلقة الإنسانية حيث يتساوى الجميع... هذا هو مقتضى العموم بقوله: "بني آدم". ومثل هذا التكريم: حملهم في البر والبحر، وكذلك الرزق، فهما من جملة التكريم ... بل إن من أعظم الحظوظ التي نالها الإنسان من هذا التكريم، هو تكريمه من جهة خلقته لذاته وتفاصيل شكله وهيئته: بتناسق وحسن صورته، واستقامة واعتدال مزاجه. أما من جهة روحه: فهي امتداد لذلك النور العلوي، فهي رغم اتصالها بالبدن قابلة للترقي والتجلي بأحسن وأكمل الصفات، والتطبع بأعظم الأخلاق. أما من جهة عقله: الذي بواسطته أدرك الحقائق، ونال المعارف، وربط الأسباب بمسبباتها، فقد حاز ملكا وعزا، وشرفا وفضلا، فساد، واستفاد، وأفاد. وللرازي (1420هـ، 21 / 375) لفته في بيان الفرق بين هذا التكريم والتفضيل في الآية حتى لا يكون تكرارا، قال: "والأقرب أن يقال: إنه سبحانه فضل الإنسان على الحيوان بأمور خلقية ذاتية، كالعقل والخط والنطق والقامة المديدة والصورة الحسنة، ثم عرَّضه تعالى بذلك الفهم والعقل لاكتساب الأخلاق الفاضلة، والعقائد الحقة و، فالأول التكريم، والثاني التفضيل.

مما سبق رأينا كيق أن القرآن لم يقتصر في نظرته للفرد بالتنظير والتأصيل فحسب، بل مضى يعرض الجانب التطبيقي العملي لإثبات نظريته وطريقة التعامل معه واقعا ملموسا، فيسرد عدد من المميزات التي تنم عن مظاهر هذا التكريم الإلهي.

**3. 5. مظاهر تكريم الله للأنسان:** زخر القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي صورت دلائل ومظاهر تكريم الله للإنسان، منها:

**- إن الله خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه: "** وهي أول مظاهر هذا التكريم على الأطلاق وذلك قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ص [77]، وفي السجدة قوله: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾. [9]. وفي قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾. [الحجر: 29]: الروح هو جسم لطيف به تخلق الحياة في البدن بوجود ذلك الجسم، وحقيقته من إضافة الخلق إلى الخالق، فالروح من خلقه تعالى، أضافه إلى نفسه تكريما وتشريفًا ... مثله قوله أيضا: وروح منه. وهذا بعد إن كان شيئا منسيا لا يذكر. القرطبي (1964م، 10/ 24)، فقد مر زمن طويل على بني آدم ولم يكن الإنسان مقدر في نفسه، بل كان غير مذكور بالإنسانية أصلا، لا في الأرض ولا في السماء، وإنما كان جسدا مصورا من تراب وطين لا يُعرف ولا يُذكر، لا يدري ما اسمه، ولا المراد منه، ثم نفخ فيه من روحه فصار مذكورا" الجاوي (1417 هـ، 2/ 586)، وذلك قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1].

**- الخلافة في الأرض وعمارتها:** ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [30]. هذا هو التكريم في أبهى صوره، هذا المخلوق الذي يفسد الحياة ويسفك الدماء المحرمة، لكنه مع ذلك امتلك من الأسرار ما يجعله أعلى وأفضل من الملائكة. لقد منح سر المعرفة، كما أنه مستقل الإرادة ولديه حرية لختيار الطريق (سيد، 1412 هـ، 1 / 57). ومما امتن الله به على بني آدم، أنه ذكرهم قبل إيجادهم في الملأ الأعلى... وفي قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 165]. وقد نقل ابن كثير عن طائفة من المفسرين: أنه ليس المقصود هنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط ... معللا ذلك، أنه لو أرد آدم خاصة لما كان قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ متحسنا، فنهم إنما أرادوا أن هذا الجنس من يفعل ذلك (ابن كثير، 1999م، 1/ 216).

**- تكليف الملائكة بالسجود لآدم:** ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [البقرة: 34]. وهذا السجود سجود تحية وتكريم لمخلوق له خصائص ليست لغيره، لا سجود عبادة. قال (الرازي،1420هـ 2/ 427). "من النعم العامة على البشر جميعا، هو أنه سبحانه جعل الملائكة تسجد لأبانا، وذلك لأنه ذكر أولا تخصيص آدم بالخلافة، ثم تخصيصه ثانيا بالعلم الكثير، ثم بلوغه درجة في العلم جعلت الملائكة عاجزين عن بلوغ ما بلغه ...والسجود لآدم عليه السلام كان تحية وتعظيما له مثل السلام منهم عليه، وهذا ما كانت تفعله الأمم السابقة. ونقل قول قتادة في قوله: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: 100]، "كانت تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض".

**- خلق الإنسان في أحسن تقويم:** وذلك قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)﴾ الانفطار، وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]. من أفضال الله ونعمه على الإنسان، تسويته وخلقته على الصورة التي هو عليها الآن، صورة حسنة تليق بآدميته وبالتكريم الذي ناله من خالقه، وتتناسب مع المهام التي كُلف بها، وبدون تلك النعمة لعجز عن قيامه بالأعمال التي يمارسها في حياته، يقول ابن عاشور (1984م، 30/ 175): ومن التسوية أن جعل منافعه وقواه الذاتية متعادلة وغير متفاوتة في آثار تأديتها لوظائفها، بحيث يتطرق الخلل إلى جميعها إذا اختل بعضها، مما قد ينشأ عنه نقص في الإحساس والإدراك أو ينشأ تغير في المزاج أو شعور بالألم، فالتسوية تشمل هذا المعنى العظيم. أما التعديل: فهو التوازن والتناسب بين الأجزاء المكونة للبدن كتناسب الرجلين واليدين، وتناسق ملامح الوجه، والعينين، فلا بشاعة في مجموعها ولا تفاوت بين متزاوجها... وكذلك ترتيب مواضع الأعضاء الباطنة جميعها.

- **ميزه بنعمة العقل:** الآيات التي تدل على تمييز الإنسان بالعقل كثيرة وقد ذكرت كلمة العقل ومشتقاتها في القرآن تسع وأربعون مرة (التويجري، 2015)، أغلبها مدح وثناء لأصحابها الذين أحسنوا توظيفها كما أراد خالقها، ولا عجب فالعقل مناط التكليف والمسؤولية، به يميز الفرد الخير من الشر، والنافع من الضار، وبه وصل إلى سطح القمر، وجاب أعماق البحار، بفضله نعيش عصر الثورة المعرفية، وتشهد التكنولوجيا الرقمية والذكاء الاصطناعي تطوراً هائلاً. كثيرة هي الآيات التي تبيّن أن الله ميز الإنسان بالعقل وجعله وسيلة إلى المعرفة، وكانت مهمة الرسالات السماوية تحرير وتنوير العقول، والتعريف بعالم الغيب على حقيقته دون تأويل غير سليم أو تخبّط ، ومن هذا المنطلق كان الخطاب لأصحاب العقول ولذوي الألباب في كل الرسالات السماوية ، فهم من يدركون العظمة والقدرة الإلهيه والسر من وراء هذا الكون، وفي المقابل ينظر القرآن للفرد الذي يهمل عقله ويعطله بالنقص ويصفهم بالأنعام فقال: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الأنفال [22].

- **خصه بنعمة البيان:** قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن [3]. هذا الخبر تضمن التذكير بنعمة البيان، والامتنان بها بعد نعمة الإيجاد، أي علّم الإنسان أن يبين ويعبر عمّا في نفسه ليستفيد ويفيد غيره. والبيان: التعبير عما في الضمير من الأغراض والمقاصد، وهو النطق الذي يتميز يه الإنسان عن أنواع الحيوانات فهو من أجل النعم... ويكون تعليمه البيان: أن خلق فيه القدرة والاستعداد لتعلم ذلك، وألهمه وضع اللغة للتعارف (ابن عاشور، 1984م، 27/ 233).

- **جعله محور الرسالات السماوية:** ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ النساء [165] **.** تتجلى مظاهر كرمه تعالى ورحمته بالبشريه، أن بعث فيهم رسلاً يُرشدونهم إلى مصدر سعادتهم في الدنيا والآخرة، لأن الإدراك الحسي والعقلي وحدهما عاجزان عن إدراك حقائق الكون الكبرى وإدراك أمور الغيب، كما أن العلم الناتج عن الفكر البشري متغير بتغير الإنسان، أما العلوم التي تأتي عن طريق الوحي هي الخالدة، وعليها يتوقف الفوز في الآخرة، وبرسالهم أيضا تبطل حجج المبطلين، فلو لم يرسل الله الرسل لما اكتملت الحجة على الناس، يقول المراغي (1946م، 6/ 23): إن من الحكمة في إرسال الرسل قطع الحجة على العباد واعتذارهم بالجهل وقت الحساب بين يدي الله، والدّين شرع إلهيّ لا يكفي الوصول إليه بالعقل، ولا يستبان ويعرف إلا بوحي ممن شرعه... ويترتب على اتباعه أو تركه جزاء محدد فى الدنيا والآخرة، ولا ينال هذا الجزاء إلا من وصلته الدعوة إليه على النهج السليم والصحيح.

- **جعل الإيمان به أمرًا اختياريًا لا أمرًا جبريا:** فقال: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]. وقال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]. إن نظرة القرآن وتصوره للفرد في تحقيق أهم غاية خلق لأجلها، وهي تحقيق العبودية لله، تبعث على الدهشة، فهو كائن مخير، ليس فقط في اختيار أسلوب حياته، بل في الإيمان بمن وهب له هذه الحياة، هذا حتى لا تجرح ولا تثلم ولا تنتقص كرامة أي بشر ولو كان باسم هذا الدين، وإن خالف العبد سيده،ويكد ذلك سيد (1412 هـ، 1 / 291): بأن هذا المبدأ خير دليل لتكريم الله للإنسان، واحترام لإرادته المستقلة ومراعاة لمشاعره وأفكاره، وق تَرك له الخيار فيما يختص بالإيمان والهداية والكفر والضلال ، وفي المقابل عليه تحمل تبعات ونتائج هذا الاختيار.. وهذا هو أعلى درجات التحرر الإنساني... إن حرية الفكر والمعتقد هو أول حق ضمنه الله للإنسان... فمن يسلب إنساناً ذلك الحق، فقد سلبه إنسانيته وإرادته الحرة.. وفي سبيل ضمان هذا الحق، كفل الحرية في الدعوة للعقيدة، والسعي لنشرها دون أشاعة الفتنة للصد عنها وإلحاق الأذى بالداعي والمدعو.. وإلا فهي حرية شكلية ليس لها مدلولا في الواقع. هذا والإسلام أرقى تصور للحياة وللوجود، وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء...فكيف لمذهب أو نظام بشري قاصر، أن يفرض فرضاً بقوة الدولة أو بالهيمنة والنفوذ ولا يسمح بالحياة إلا لمتبعيه؟ ثم يوضح الحكمة من مشروعية القتال بداية الدعوة (1: 276)، بأن لم يشرع لإكراه العباد وحملهم على الإعتقاد بهذا الدين، وإنما ليتبين لهم الحق والرشد من الباطل والغيّ، وتزال العوائق التي حالت بينهم وبينه، ثم ليكن لهم بعد ذلك ما أرادوا ".

- **تسخير ما في الكون لمنفعته،** وذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: 20]. وهذه من النعم المتكررة في القرآن بأساليب متنوعة. والإنسان لا يساوي شيئا أمام عظمة هذا الكون، ولكن لكونه نفخة من روح الله، وفضله على كثير ممن خلق، ووهبه الكثير من المزايا، ورتب على ذلك أن يكون خليفته في أحد أجزاء هذا الكون وهو الأرض، فقد شاء الله أن يهيء له سبل العيش فيها واستثمار خيراتها والوصول لكنوزها الظاهرة والمدفونة في أعماقها، لتعميرها وتوفير حياة كريمة تليق بهذا المخلوق المكرم ليقوم بمهامه في أداء الأمانة التي كُلف بها.

هذه نبذه يسيرة بينت نظرة القرآن تجاه الإنسان، والتي تدور حول إ ثبات كرامته كنسان، من خلال تلك المميزات التي وهبت لكل فرد دون جهد منه، وكيف تجلت رحمة الله بعباده وفضله الواسع وكرمه عليهم، وتفضيلهم على سائر خلقه، فليتأمل الإنسان إلى رحمة الله المهداه ويقابل ذلك بالشكر، ويسخر كل ذلك لخير البشرية، ويجعله مصدرا من مصادر قوته في خوض معركة الحياة.

**3. 6. الفرد كائن ضعيف:** بداية من المهم أن نعرف؛ أن في ميزان الله وفي تصور القرآن الكريم عن الفرد. لا يوجد إنسان مثالي وإنما يوجد إنسان له أخطاء، يستغفر فيغفر الله له، إنسان له من الخصائص الروحية ما تجعله يبلغ من الرفعة مدى يصل به إلى مقام الملائكة المقربين. وفي نفس الوقت له من الخصائص المادية ماتجعله مهيأ حين يضعف ويخالف السنن الإلهية، لأن يتردى إلى الحد الذي يهوي به إلى مرتبة الحيوانية. ومنهجية القرآن في بناء الفرد المسلم، كما تحرص على تنبيهه لخصائص القوة لديه لا تغفل أن تضعه أمام نقاط ضعفه. وكما هي دقة القرآن في بيان الشيء ونقيضه، فقد جمع بسلوب موجز كل نقائص هذا الإنسان وسلبياته في وصف جامع هو **(الضعف).** فالقرآن صرح أن (الضعف) صفة جُبل وفُطر عليها الإنسان، قال تعالى: ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ [النساء:28 ]، فن هذه الآية تفسر مصدر هذا الضعف أنه صفة حلت فيه من أصل خلقته ونشأته كونه من طين، فتجذبه مغريات هذه الحياة وتميله الشهوات والمغريات. والملاحظ أن لفظ ضعيفا) ورد بصيغة العموم؛ وهو ما يضعف ما ذكره كثير من المفسرين بأن المراد بـالضعف هنا "ضعف الرجل ناحية المرأة"، محتجين بالسياق قبله. والذي يبدو لي: أن الأفضل عدم التخصيص ما دام القول بالعموم يشمله، وذلك لأن الضعف لا ينحصر في انسياق الفرد وراء غريزته، وإنما أي تصرف مخل أي كان دافعه هو مظهر من مظاهر ضعف الإنسان،

إن التخصيص على نحو ما ذكروا يلغي العمل بروح النص أولا، ويخالف القاعدة الترجيحية التي تنص على عمومية الخبر دون دليل يخصصه (السبت، 2005م، 21).

**3. 7. مظاهر ضعف الإنسان ومواطنه:** وهي محل التحدي في عملية البناء الشاملة للفرد، ومن هذه المظاهر:

**- الغفلة:** قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)﴾. الخسران: النقصان وذهاب رأس المال، والآية تشير: إلى أن طبيعة الإنسان الغفلة والانغماس في ملاذ الدنيا ومتطلباتها واستثقال أعمال الخير وبعد عن الحق، فهؤلاء خاسرون إلى من استثنتهم الآية، فغياب الهدف والرؤية: تجعل وقته ينقضي بدون أن يعمل شيء نافع.

**- خُلق في كبد،** قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ البلد [4]، إن هذا القسم يؤكد طبيعة لاتنفك عن هذا الإنسان تظهر في أسلوب الحياة التي يمارسها، أنه لم يخلق ليأكل ويشرب وينام ويتمتع، بل ليعمل وليس أي عمل بل يريد منه "أحسن عملا" وهذا لا شك سيكلفه راحته، وسكينته وسيجلب له المشقة والتعب والكدح والمعاناه والاحتراق، كما جاء في موضع آخر: «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ» [الانشقاق: 6] فالخاسر هو من يعاني ويتألم ويعيش حياة الضنك في الدنيا ثم ينتهي به المطاف إلى حياة أسوأ وأمر في الأخرى، والرابح من يجعل كبد الحياة وآلامها جسرا يعبر به إلى الراحة الدائمة والنعيم الأبدي وصدق رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم: "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا". (مسلم، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضور، 1/ 203، ح/ رقم:2 223).

**- الجزع والخوف عند تغير الحال:** قال تعالى في المعارج: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾. يخبر تعالى، عن صفة قد جبل عليها الإنسان وهي: كونه هلعوعا، مما يجعله غير متزن في مواجهة تقلبات الحياة وظروفها، فيعتريه الهم والحزن والخوف وقلة الصبر واليأس عند المصائب أو عند تضرر مصالحه أو عند الإعسار، بينما إن تحسنت أحواله وكثرت خيراته وأنعم الله عليه قابل ذلك بالجحود، ومنع الحقوق لأصحابها.

**- العجلة والتسرع:** ﴿وكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولا﴾ الإسراء: [11]. تصف الآية طبيعة الإنسان حال غضبه، وعدم تبصره بالنتائج، فيدعو الله بالشر على نفسه وعلى من هم تحت رعايته، يريد بذلك الخير والنفع، بالشر والضرر، فيتعجل ويتسرع في طلب كل ما خطر على باله.

**- افتقاره للرضى والقناعة:** ﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (50) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (51)﴾ فصلت: يقول الشعراوي (1997م، 13/ 8030): الإنسان بطبعه لا يمل ولا يسأم من السعي لينال الخير، وكلما أرتقى إلى مرتبة تمنى غيرها وكابد لينال الأعلى منها، يقنط إن أصابه الشر، وإن صرفه الله عنه ويسر له الخير قال: هذا لي، لقد استحيتقه بجهدي،

وأنا به جدير. والأجدر أن يقول: هذا من فضل ربي ونعمته علي، ثم يتمنى بعد ذلك أن يحقق له الله الأماني فيقول: {إن لي عنده للحسنى}.

- **متقلب يدور مع النعمة:** في سورة هود: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10) ﴾، "تبين أن الإنسان متبدل الأحوال، متغير الأطوار، إن أحس بخير وقدرة، انتفخت أوداجه، وصعّر خدّيه، ومشى الخيلاء، وإن أصابته محنة وبلاء، تطامن واستكان ويئس من الفرج،... وذلك مما يومىء بشغله بالنعمة عن المنعم، في حالي وجودها وفقدها، أما في حال وجودها فواضح، وأما في حال فقدها، فلأن التضرع جزعًا إنما كان على الفقد، الدال على الشغل عن المنعم بالنعمة (الأرمي، 2001 م، 26/ 8).

- **الجحود وكفر النعم:** قي قوله: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ سورة عبس: [17]. قيل: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ما تعجبيه من المبالغة والإفراط في كفران النعمة، والمراد من الإنسان هنا الكافر، ولا يقصد جميع الناس. الزمخشري (1407هـ، 4/ 703)، ومثلها: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قال الطبري (2000م، 24/ 567): لوام لربه، يعد المصائب، وينسى النعم.

- **الجدل والخصام:** ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54]. الآية عامة، و «الجدل» الخصومة والمماراة بالقول، فالإنسان فاق جميع المخلوقات في هذه الصفة فهو أشد في جداله من الملائكة والجن وغيرهم (ابن عطية،1422هـ، 3/ 524)، ويرى ابن باديس (1995م، 326): أنها فطرة في الإنسان، حيث أن الضابط لها تربيته الدينية والخلقية، فن جادل فبالحق وللحق، ولذلك ينبغي على الإنسان أن يحذر حتى لا يصير الجدل والخصومة عادة وخلق وسلوك.

- **الطمع وحب المال:** ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ وَكانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً﴾ [الإسراء: 100]. القتور: البخيل، والآية واضحة، تؤكد صفة وطبيعة من طبائع الجنس البشري، وهي الخشية والقلق من نفاد المال، أو نقصانه فيعيش على البخل والتقتير، وإن ملك خزائن الأرض، ولأنانيته أن ينال الآخرين ما نال، ويفسر صاحب التفسير القرآني سبب هذه الأنانية وعدم البذل، بأنه الشعور بالتفرد وحب الاستعلاء على الآخرين، إن تحسنت أحوالهم وجرى المال في أيديهم، وفيه منافسة لمقامهم الزائف (الخطيب، 8/ 558).

- **الظلم والجهل:** ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب: 72]. المراد بالأمانة: هي أهلية التكليف، أو التكليف نفسه، والمراد بالإنسان: على العموم، وقد اختصه الله بحمل الأمانة لكونه المخلوق الوحيد المميز بالعقل والإرادة، وقدرته على التفريق بين الشر والخير ومنحه حرية الاختيار بينهما، غير أن جهله بخطورة ما حمل، أدى إلى تهوينه من شأنها، فلم يؤد حقها كما يجب، فكان ظلوما لنفسه بالتقصير في حملها، مع كمال القدرة لامتلاكه مؤهلات القيام بحقها على أفضل وجه. ومن هنا كان وصفه تعالى للإنسان بـــــ ﴿ظَلُوماً جَهُولاً﴾، مختص بمن تنصل عن أمانة التكليف وأخل بالعهد الذي التزمه، ودليله ابتداء الآية التاليه بلام السببية، مما يشعر أن علة اختصاص الإنسان بالتكليف (الأمانه)، هي الاختبار والابتلاء والذي يقضي إلى عقاب من انحرف عن الحق، وإثابة من اتبع السراط المستقيم، وبذلك تكون الآيتان قد تضمنتا تقريرا بأهلية الإنسان للتكليف وصلاحيته لحمل الأمانة (دروزة، 1383هـ، 7/ 429). وبهذا تكون هذه الآية مظهر من مظاهر تكريم الإنسان، لا من مظاهر ضعفه، لكن ذكرتها هنا باعتبار صفتي الظلم والجهل.

في ختام الحديث عن نظرة القرآن الكريم للفرد، والتي وضعته في مواجهة مع نفسه؛ حيث تعد أول خطوة في طريق البناء الصحيح، أن يعرف الفرد نفسه، ويستثمر خصائصه وميزاته التي سجلها القرآن، ويتلافى عجزه وقصوره، ومع ذلك لم يتركه أسير ضعفه وأهوائه. بل في نفس الموضع نجد القرآن قد وضح أسابه وقدم حلوله: فمثلا في الرد على الملائكة - عندما توقعوا فشل آدم في القيام بمهمته بظهار نقاط ضعفه ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ فبين لهم أن الأمر مختلف حين يكون العلم هاديا ومرشدا إنه مزود بأهم عامل (العلم)، لذلك القرآن أعد منهجية بناء الفرد المسلم كاملة، وأعطى له الفرصة كاملة ليكون جديرا باستحقاق كرامته سبحانه، وينفي عنها ما يشينها، فن أبى إلا السير عكس ما أراده الله فمن ﴿ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: 18] ستمضي سنة الله بغيره، ممن ﴿أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ﴾ [التوبة: 109].

**4. عوامل بناء الفرد في القرآن الكريم:** القرآن الكريم كموجه أساسي للإنسان اعتنى ببنائه، وأعطاه أولوية فائقة، فلو تدبرنا آيات القرآن الكريم من أول ما نزل حتى آخر آية منه، لوجدنا أن منهجيته في بناء الفرد المسلم قد أخذت طابعا خاصا مميزا متدرجا واقعيا شموليا، لم تحظ بمثله غيره من المناهج والفلسات على مر العصور؛ ولذلك كان من نتائجه بعث أمة كانت شاردة تائهة، غارقة في الحروب القبلية الجاهلية، إن تلك النقلة النوعية وذلك التغيير الجذري للمجتمع، ما كان ليتحقق إلا بمثل هذا البناء الرصين الذي تظافرت

عدة عوامل على إقامته، و بالتالي فن أي تطلع لمستقبل أفضل، يتوقف على استعداد الفرد للتغيير في نفسه أولا، وتحمله للتحديات والإرهاصات التي تصاحب عملية البناء. وهذه أهم العوامل التي أقرها القرآن في بناء الفرد المسلم:

**4. 1. العلم:** بداهة؛ لا يمكن إحداث تغيير حقيقي في المجتمع، إلا إذا سبقه إحدث تغيير في فكر وعقل أفراد ذلك المجتمع، ولن تتحرر الأوطان إلا بتحرر العقول، ولو أنعمنا النظر في آيات القرآن الكريم؛ لوجدنا أن " العلم" شكل الأساس الأول لمنهجيته في بناء الفرد، فكان أول تكليف تلقاه النبي صلي الله عليه وسلم: (اقْرَأْ)، بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق 1: 5]. وكما هو تكليف لنبي هذه الأمة - المسؤول الأول -في الدولة – هو تكليف لكل فرد فيها يريد أن يكون رقما صعبا في الحياة، هذا الخطاب في هذا الموقف الجلل؛ لم يكن ليُصَدِّر خطابه بالإقرار بواحدانية الله أو بفراده بالعبودية؛ بل بالإعلان عن أول مؤهلات الفرد في المجتمع الإسلامي الناشئ، ليس على سبيل الندب؛ بل على سبيل الفرض والوجوب، وليس بأسلوب الأمر المجرد؛ بل ببيان النتائج المترتبة على الأخذ به والمخاطر الناتجة عن النكوص عنه، وجاء الأمر بالقراءة مكرار في بداية وعقِب التلميح لأطوار خلق الإنسان، بمعنى لا يزال هناك طورا لن تكتمل أيها الإنسان إلا به إنه (العلم).

في الحقيقة هذه الديباجة الاستهلالية قد أوضحت محور الرسالة الخالدة، وقدمت حقيقة دين الإسلام للعالمين في أبهى صورة، على خلاف ما يروج له أعداء الإسلام، إن هذا المطلع لوحده في نظري؛ يعتبر دراسة جدوى متكاملة لمشروع البناء العلمي للفرد المسلم، بل أسميه (نظرية الناء العلمي) لذلك من الصعوبة بمكان أن أستوفي مضامينها، لعجزي أولا، ولطبيعة البحث المقيد للعنان ثانيا. وإليكم أهم ما جاء فيها من أسس البناء العلمي:

**1 - القراءة الواعية:** إن الافتتاح بالقراءة أولا، وتكرار الأمر بها ثانيا، فيه إشارة إلى: قانون موصى به في التعليم والتعلم وهو قانون (التكرار)، يصف جودت (1993م، 12) القراءة بأنها رحم العلوم حيث يتطور وينمو بواسطتها، لأنها تغذي العلم فهو متوقف عليها. على أن تكون قراءة مصحوبة بالتأمل والتدبر وليست مجرد تلاوة أو قراءة للمتعة. وقد استهجن القرآن هذا النوع من القراءة فقال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: 78]. قال ابن تيمية (1995م، 434): " وقد فسر قتادة وابن عباس ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ أي لا يعلمون بمعاني الكتاب ولا يفهمون مضمونه، وإنما يقومون بالحفظ والقراءة فقط.

**2 – مجالات القراءة:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، تشير إلى أن القراءة لابد أن تكون (في الكتاب المقروء والقرآن في مقدمتها، الكتاب المنظور – الكون - وفي الأنفس، تفهم من ذكر خلق الإنسان). فيكون المراد بالقراءة هنا: القراءة الواسعة المستفيدة من تجارب الأخرين، وخبراتهم من أسفارهم وتنقلهم في الأرض، والنظر إلى مصير من خلوا من قبل، للاعتبار وتجنب أخطائهم والتبصر في العواقب، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، [يوسف: 108]. والبصيرة هي رؤية المشكلة من كل الزوايا، والمجتمع المؤمن الواعي هو الذي يتعلم عبر التاريخ.

**3 – التمكين مرتبط بالعلم:** ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾: إن اقتران القراءة مع كرم الرب، يدل على أن القارئين في العالم تاريخياً وجغرافياً وأكثر الشعوب قراءة والمهتمون بالعلم سواء في الأبحاث أو التجارب أو الاكتشافات هم الأكرمون، والأكثر رخاء وتقدما، بل من يهيمن ويمتلك القرار والنفوذ هم من يملكون المعلومة والمعرفة. وفي هذا المعنى جاء قوله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾. وإلى يومنا هذا لن تجد فردا له شأن وذائع الصيت إلا ووجدت وراءه نهماً في القراءة. "والإنسان لا يعلو شأنه ويصنع قَدَره إلا بالمعرفة والعلم المتحصل من القراءة والموصل إلى الإيمان بالله.

**4 – الكتابة والنشر:** ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. تفيد الآية أن تقييد العلم بالكتابة، وتسجيل تجارب السابقين من المنافع العظيمة في حفظ العلم والوصول إلى مالم يصل إليه إلا بأداته. وما يماثله من الوسائل الحديثة بالقدر الذي يُمكّن من الإستفادة منها لما فيها من توفير للوقت والجهد.

ومن كرمه سبحانه أنه جعل من القلم أداة للعلم والمعرفة، وجعل ثمرته كل تلك الكتب التي دونت وسجلت خلاصة العقول فكانت الميراث الذي ورثته الأجيال اللاحقة، والكشاف الذي أضاء للعلماء الطريق لاستكمال الدور، وكانت مصدر التنوير الذي صنع الحضارات فوصل الإنسان إلى حقائق لم يكن يعلمها، وفتح أبوابا جديدة للعلم يتلقاها عنه من بعده. وإضافة إلى ضرورة النشر؛ تبسيط وتسهيل العلوم، يقول (جودت، 1993م، 13): فـ ذا كان العلم المحفوظ بالقلم، المعمم بالنشر هو الذي يولد العلوم الجديدة فـ ن من أجلّ

الأعمال التي على أهل العلم أن يقوموا بها تسهيل ما يُقرأ وتبسيطه وإيجازه لتتحقق ثمرة القراءة. ولا شك يدخل في هذا؛ الشروح والاختصرات لكتب السابقين، والترجمات للكتب الأجنبية. وغيرها.

**5 – الوحي أعلى مصادر العلم،** وهو ما أشار إليه قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. إن علاقة الوحي بالعلم لخصها قوله: (باسم ربك). والذيسمن المعروف أن جميع الأديان كانت رسالاتها تخاطب حواسه، إلا رسالة الإسلام جاء القرآن ليخاطب في الإنسان عقله.
الحضارات الإنسانية على مر العصور تستقي أهدافها وأصولها ومقاصدها في الجانب المعرفي من وجهة نظر الأنسان فتصطبغ بثقافته وأفكاره وبيئته الزمانية والمكانية وتتأثر بها على اختلافها وعللها وقصورها، أما الحضارة الإسلامية فتستمد أهدافها وأصولها ومقاصدها المعرفية من الوحي المنزه عن التأثر بعوامل الزمان والمكان ووجهات النظر البشرية القاصرة. ويتضح هذا الفرق بالمقارنة بين عالم يسخر علمه ومعرفته لعمارة الكون وخدمة البشرية، وآخر يسخر علمه لخراب الكون وتدمير البشرية، فالأول يحقق أهداف الوحي ومقاصده لخير ونفع الإنسانية، والثاني يسعى لتحقيق أهدافه الشخصية (الجليند، 2015م، 140). فلا يزايدنَّ أحد على دين الإسلام بهذا الخصوص، وبالتالي ليس هناك تجافيا بين العقل والوحي، بل الفصل بينهما يشكل خطرا على حياة البشرية، فلابد للفرد المسلم أن يسترشد بوحي السماء خلال رحلته في طلب العلم أيا كان تخصصه، فذا أردنا بناء الفرد بناء علميا سليما، لا بد من ربط جميع العلوم العقلية والتطبيقية بوحي السماء. ليس ذلك فحسب بل نجد أن القرآن قد تضمن الكثير من الآيات، التي تضع العلم هدفا محوريا لكل فرد ومجتمع ومؤسسة، وأنه أقصر طريق إلى السيادة والريادة وتطوير المجتمع، منها على سبيل المثال: كان أول نزول للوحي بعد حادثة الغار مباشرة نزوله بسورة القلم؛ لزيادة التأكيد لهذا الأساس الذي قامت عليه الرسالة الخاتمة.
هو ذاته ما قامت عليه الرسالة الاولى، واستحق به أبونا آدم أن يكون خليفة الله في أرضه، ومن أجله أسجد الله له ملائكته، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: 31]، وبه احتج الله تعالى على بني إسرائيل في اصطفائه طالوت ملكا عليهم، ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ البقرة: [247]، العلم ميزان الحكم والسيادة بدونه يختل النظام ويشيع الظلم، مهمة الاستخلاف في الأرض، تقتضي توفر مقومات الكفاءة والاستحقاق، للقيام بأعبائها وتكاليفها، وإتمام وظائفها وأعمالها، ومن تلك المقومات : الكفاية العلمية. وينوه صاحب الأساس في قصة استخلاف آدم إن تفوقه على غيره بالعلم واستعداده له هو سر استخلافه وسجود الملائكة له، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلمم عندما كان يختار القادة، كان يحرص على أن يكون العلم إحدى مزايا القائد المختار، حيث أمَّر على أحد الوفود رجلا من أصغرهم سنا لحفظه وعلمه بسورة البقرة، وأنه ينبغي أن يكون العلم أهم العوامل التي يؤخذ بها في التقديم والتأخير لأي مهمة أو منصب (حوى، 1424 هـ، 1/ 121).
هذه اللفته من مفسر الأساس، تشير إلى أن خطة البناء ولائحتها التنظيمية في أي مؤسسة؛ لابد من إدارتها بنظام الجودة التي تسعى إليها الدول وكبرى والشركات العالمية، وهو ما يهدف إليه القرآن؛ بأن من يتولى المناصب العليا والوسطى في مرافق الدولة الرسمية والأهلية؛ هو الأعلى تأهيلا والأكثر خبرة وسبقا في مجاله كل بحسب موقعه. ومن المؤسف أن نجد من قضى جل عمره في طلب العلم في مجال معين، حتى وصل إلى أعلى رتبه أكاديمية يقدم عليه في المناصب والتوظيف مَن لا حظ له من ذلك؛ لاعتبارات أخرى لا علاقة لها بمستوى تعليمي ولا بتخصص أكاديمي، ومن هنا تدمر الدول عندما يُقصى الفرد العالم البناء، ويُولى ويقرب الفرد الجاهل الهدام، هنا يتم سحق الفرد والانقضاض على ما تبقى من بنية المجتمع والدول بلا هوادة. إن ما وصلت إليه مجتمعاتنا من تخلف وتراجع في كل شيء، هو نتاج انحرافنا عن نهج القرآن في إسناد المسؤوليات للأفراد حسب الكفاءة والخبرة، وعدم احترام التخصصات العلمية، والمصيبة الكبرى عندما يكون أعلى قيادة في هرم الدولة أقل الأفراد حظا في العلم والمعرفة، أي بناء نرجو في ظل هكذا فوضى. نحن بحاجة في هذه الآيات خاصة أن نقف طويلا، لندرك أي عز ومجد فاتنا، كم هي خسارتنا، ونحن في ذيل الأمم، وقد وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم بفضل العلم، وما الذي جنته مجتمعاتنا جراء التهاون في الأخذ به، ومن الذي سلم زمامنا لسفهاء الأحلام وجهلة العصر؟ ... إن إحراز السلام والأمن المجتمعيين لن تقوم لهما قائمة في أمة تعج بالجهل ويغيب عنها المنطق، أمة تقدم الشخص على الفكرة، وتتجاذبها العصبيات، إن إحراز قصب السبق في الرخاء والتقدم، واندمال جراح جسد أمتنا المثخن باستشراء (الجهل) لا علاج له إلا رفع راية العلم والقراءة ثم القراء ثم القراءة، وتجريم كل ما من شأنه حرمان أي فرد من التعليم مهما كان سنه أو نوعه، ولا يُتخيل تغيرا في المجتمع بكامله؛ إن لم يقابله تغيرا في فكر وعقل من يراد منه إحداث التغير في المجتمع، وعلينا أولا أن نُعيد الاعتبار للتعليم، فالتعليم لا يقتصر على بناء المدارس والجامعات ولا على معدل التخرج ونيل درجة علمية تضمن للدارس الانتقال إلى مرحلة أعلى دون النظر إلى محصوله المعرفي ومستواه الحقيقي الذي يمكنه من تحقيق تقدم ملموس يعكس أثره على مجتمعه. كما يجب إعادة الاعتبار للمعلم وإعطائه كافة حقوقه؛ حتى يستطيع القيام بدوره على أكمل وجه. وفي التعليم الجامعي لا بد من تشجيع الاجتهاد وإدانة الذين يقلدون

بغير علم، نريد تعليما ينزع عنا عباءة الأبائية المستعبدة للفكر، هذا إذا أردنا بحق أن نحيي منهج القرآن ومنهج العلم، وهذا ما جاءت به أوائل سورة العلق.

**4. 2. الإيمان (العقيدة السليمة):** هذا الأساس يقوم على الأساس السابق، فالإيمان يزداد ويتمكن كلما ازداد الإنسان علما، بمعنى أن منهجية القرآن تسعى لبناء المؤمن العالم، وقد يقول قائل: كل فرد في المجتمع المسلم مؤمن، مؤد الحد الأدنى من الشعائر، إلا ما ندر، فلا يحتاج هذا الإساس ذلك الاعتناء الفائق لأنه يأتي بشكل تلقائي!! وهنا يتوجب علينا أولا أن نعلم ماهية الإيمان الذي يريده الله منا، فالله لا يريد أفرادا مؤمنين بالوراثة، وهذا ما وضحه لنا القرآن في كثير من الآبات، منها على سبيل المثال، ما جاء في قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19]. ننظر كيف جعل العلم ب (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، مقدما على التلفظ بها، بل قدم العلم على العمل كما دل عليه ما بعده. يقول ابن عاشور: "ومن اللفتات الجميلة أن حث على العلم قبل أمره بالعمل فقال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِ﴾. قال ابن عيينة لما سئل عن فضل العلم: ألم تسمع قوله حين بدأ به ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ واستغفر لذنبك، وأن البخاري ترجم له في صحيحه "باب العلم قبل القول والعمل" لقوله عز وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فبدأ بالعلم (ابن عاشور، 1984م، 26/ 105). وما قاله وجيه؛ ذلك أن أساس العلم بكلمة التوحيد واستحضارها؛ يسهل للفرد العمل بموجباتها، فتستعذب النفوس مرارة التكاليف التي يتطلبها البناء، وتقبل بقناعة وهمة لتحقيق مراد الله، وما أعطى الله الإنسان حرية المعتقد، كما سبق ذكره، إلا لأنه لا يريد إيمانا شكليا يكتفي بترديدها. يقول السعدي: فذا نشأ الإيمان عن علم، رسخ في القلب وقوي، فلا يتزلزل بالشبهات ولا يتأثر بالمغريات والخيالات ولا يزداد إلا رسوخا وثباتا وكمالا مهما كانت الشبه ومهما أرعد الباطل (السعدي، 2000م، 787).

إن الإقرار ب (لا إله إلا الله) يستلزم الإيمان القلبي بها عن علم بمضمونها، يوصله إلى العمل بمقتضياتها، وفي ذات السياق نجد قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: 7]. وقوله: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: 108]. وهكذا يمضي القرآن الكريم في منهجيته ليؤصل هذه الحقيقة؛ بأن المؤمن بالله هو عبد عارف بالله، عرفه في نفسه وفي الأفاق، عرفه في العسر واليسر، في الشدة والرخاء، في الرضى والغضب، في القوة والضعف، عرفه في المسجد والسوق، في السلطة وخارجها، في الأرض والسماء، في الغيب والشهادة، أيعقل لهذا المؤمن العارف!! أن تبدو عليه مظاهر ضعف ذلك الإنسان الذي ما عرف الله ولا قدره حق قدره، تلك الصفات من جهل وظام وجحود وقنوط وهلع وشح وبطر وجدل وغيرها، وإن كانت من خصائصه، لا يمكنها أن تنيخ مطيته أمام عتبة طاغوت أو أيوان ملك، أو زهرة دنيا، أو نزوة طيش، أو لذة شهوة، أو لسعة فاقه، بل يتحرر من العبودية بكافة أشكالها، متحملا كافة التبعات والمسئوليات الخاصة والعامة، فأي فرد يدعي الإيمان ويستسلم لضعفه، للدرجة التي يظلم بها الآخرين؛ فيعتدي على النفس والمال والأرض، ويمتهن كرامة الإنسان، متجاهلا قدرة الله عليه، فأولئك هم الذين ينطقون بكلمة التوحيد بألسنتهم وهم لا يعقلون، وأولئك لا يعول عليهم في عملية التغيير والنهوض الحضاري، إنهم زبد يذهبون جفاءً عند أول اختبار، لذلك كانت العقيدة السليمة هي الأساس في بناء الفرد بناءً فكريا وسلوكيا، في بداية أقامة المجتمع الجديد في مكه، والذي تشكلت ملامحه لأول مره كفرد جمع بين الإيمان والعلم والعمل، وكان القرآن الكريم يركز على بناء مجتمع عقائدي صلب وحقيقي، يتفاعل مع فكر الإنسان وسلوكه، ويهز ضميره ووجدانه ويمتزج بروح الإنسان ومشاعره، وهذا يتضح جليا في السور المكية التي ضلت تتنزل على مدى ثلاثة عشر عاماً بهدف بناء العقيدة، وترسيخ المفاهيم الإيمانية، وبمجرد أن تشكلت دعائم العقيدة في هذه المرحلة، بدأ القرآن مباشرة في إرساء المفاهيم الأساسية لإعادة بناء هذه الأمة، ووضع معالم الدولة المدنية في ظل العقيدة. "ولما كان الإنسان كريما على الله جعل الآصرة التي يتجمع عليها البشر هي الآصرة المستمدة من النفخة الإلهية الكريمة، وهي آصرة معيارها وإطارها هذه العقيدة، إنها آصرة الأخوة في الله إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

لقد أوجز القرآن الكريم منهجيته في العقيدة بسورتين قصيرتين؛ هما سورتا الإخلاص والكافرون :﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وهاتان السورتان تضمنتا الخلاصةُ لأركان العقيدة السليمة، ولذا ورد في السنة التذكير بها واستجباب القراءة بهما في صلاة الفجر؛ كنوع من التربية الروحية، وتذكير المسلم بخلاص عقيدته وصدق توجهه إلى بارئه. وفي سبيل حمايتها أقر القرآن وجوب الهجرة؛ في حال تعرض البناء الإيماني لمسلم أو لأسرته للهدم، أو لم يجد الحرية الكافية لممارسة شعائره العقائدية، فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ ... ﴾ [النساء 98]، وهو ذات النهج الذي سلكه رسول- صلى الله عليه وسلم- للبحث عن مجتمع أخر غير الذي بمكة، ليحمي هذه العقيدة ويكفل لها الحرية. إن العقيدة هي ما تعطي الحياة الإنسانية معناها وقيمتها، فما أحوجنا اليوم إلى تربية إيمانية؛ تؤكد هوية الإنسان الروحية في مواجهة الابتذال الحضاري، ومواجهة موجة الإلحاد التي أخذت تغزو مجتمنا الإسلامي، وتضرب بناءه في أغلى مكوناته (الشباب)، نحتاجها كي تضبط سلوك وتصرفات الفرد المسلم، بحيث يكون ترجمة لما يؤمن به ويعتقده،

إن منهجية القرآن في بناء العقيدة بشكل عام، والإرتقاء بالجانب الروحي لدى أفراده، لا يتسع لها المقام، وأكتفي بتخصيص نوع منه كونه يشكل حجر الزاوية في عملية البناء التي نهدف إليها وهو:

- **الإيمان بالغيب:** كثيرة هي الآيات التي ركزت على الإيمان بالغيب! ذلك أن المسلم يمضي حياته العاجلة، فيتعرض لابتلاءات كثيرة، قد يُظلم ولا يجد من ينصفه، قد يؤسس عملا ويربي أجيالا، لكنه لا يجد ثمرة جهده في حياته، هذا ربما يحبط الإنسان ويغريه الشيطان، في لحظة نزق وطيش وضعف بشري، فما الذي يصبره ويسليه؟ إنه إيمانه بالغيب، إيمانه بيوم حساباته لا تعترف بحسابات الدنيا. الإيمان بالغيب من أهم ما يدفع الفرد المسلم لتعمير الأرض، ورسم الخطط وبذل الجهد لتحسين وضع المجتمع، قد يقدم روحه رخيصة في سسبيل ما يؤمن، لكن يبقى إيمان المسلم بالغيب هو عزاؤه، الذي يجعله يستمر في عملية البناء والتنمية، وغرس القيم والفضائل مهما أنكر جهده البشر، هو يتطلع ليوم الإنصاف الكبير فيشحذ همته ويستحث خطاه، ولا يرى إلا هدفه ماثلا أمامه أينما اتجه مهما كلفه الأمر، وهذا هو الفرق بينه وبين من لا يؤمن إلا بما يقع تحت حواسه.

يسجل سيد (1412م، 1/ 31) كلاما نفيسا في هذا الشأن في تفسيره لقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ... ﴾ [البقرة: 3]: "الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس، وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود... يشعر أن امتداده وأثره فوق ما يتصوره وعيه وأن حياته لا يقيدها زمان أو مكان، وأن هناك حقيقة أكبر من عالم الشهادة، وهناك قوة أكبر تمخض عنها هذا الوجود، واستمد وجوده من وجودها ... وحينها يسخر جهده ويشغل فكره بما خلق لأجله، ويحفظهما من التخبط والشتات.

الخلاصة مما سبق أن العقيدة التي تشكل ركنا أساسيا في بناء الفرد المسلم، لابد أن تركز على البناء الفكري والنفسي للفرد المسلم؛ وذلك بأن تبني فكرا مستنيرا يحرر معتنقها من الأوهام والخرافات، والتقليد الأعمى، وتحميه من الشبهات والشكوك فتعصمه من موجة الإلحاد، بل ويستطيع أن يحاور ويناقش عن وعي وبصيرة، كما تبني نفسا متزنة مؤمنة بجوهر فطرتها، غير متنكرة لأصل خلقتها وطبيعتها، متسامية متفوقة على مظاهر ضعفها، تقدم لها الإجابة الشافية عمّن أوجدها؟ ولماذا أوجدها؟ وإلى أين المصير؟، فتمضي في مهمتها واثقة من قدراتها، تعرف ما تريد ولا يثنيها عن ذلك شيء من محابّ الدنيا وبهجتها.

**4. 3. الأخلاق:** مما لا شك فيه إن حضارة الأمم تبنى بالأخلاق، وبالتالي بناء أي مجتمع وضمان استمراره، وتفوقه في نظمه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، إنما بما يمتلكه من رصيد أخلاقي وقيمي متين، ومهما بلغ التقدم العلمي والقوة الإقتصادية لبلد، لا تلبث أن تزول في حال تدنت أخلاق أفراد ذلك البلد أو القائمين عليه، وقد أخبرنا القرآن كيف أن أمما زالت لنفاد رصيدها من الأخلاق والقيم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ [الإسراء:16]. فالمترفون حينما يحكمون يؤثرون الدعة ويسترخصون القيم ويستقبحون التغيير، بل يقاتلون الشعوب للبقاء على ما هم عليه من السيادة والمكانة، فتجمد الحياة وتسترخي الشعوب وتفقد الأمة أسباب بقائها فتهلك.

كما ساق لنا القرآن الكريم والتاريخ والسير، سيرة أمة كانت مغمورة في أوحال الجاهلية، تعيش حياة التخلف والبداوة، لا يعرفها أحد، لكنها كانت متمسكة بمجموعة قيم، وتتمتع بصفات خُلقية ليست عند غيرها من الأمم في ذلك الوقت، فكانت هي المؤهلة لحمل رسالته الخاتمة، وبعد أن استكمل بناءها، الأخلاقي وأعاد بناءها الاعتقادي حتى استوت على سوقها، أسند إليها قيادة البشرية وهذه سنة الله في الأفراد والجماعات، فانتشر الإسلام من هذه البقعة شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، حتى وصل شرق آسيا ،وجنوب أفريقيا وعمق الصين وبلاد الهند وغيرها، انتشر بأخلاق التجار المسلمين وحسن تعاملهم، لم يدخلوا غزاة ولم يحملوا سيفا، بل نقلوا لهم صورة واقعية عن جمال وعظمة هذا الدين، بسلوكهم لا بخطبهم ومواعظهم، ومثلوه خير تمثيل فاقتدى الناس بهم، ثم في عصور لاحقة؛ عندما اختلت منظومة القيم، وضعفت الأخلاق وانغمس الناس - وفي مقدمتهم قادة ونخب تلك البلدان - في الترف واللهو والمجون، وصار الشقاق والنفاق والخيانة شعار المرحلة، من أجل فرض سيادة وهمية، لا هم لها إلا مزيدا من الرفاهية والاستئثار بموارد الدولة، انهارت منظومة الأخلاق بالكلية، وسقطت تلك الدول والحضارات، وما سقوط دولة الخلافة في الاندلس عنا ببعيد، بعد ثمانية قرون، بنوا خلالها مجدا وحضارة، جعلتها أكثر دول العالم علما ومدنية وتحضرا، واستهوت أفئدة طلاب العلم والباحثين من مختلف بقاع أوروبا والعالم، وعلى إثرها استطاعت أروبا أن تؤسس نهضتها التي لا تزال إلى اليوم تحصد ثمارها.

**منهجية القرآن في بناء أخلاق الفرد المسلم**: لقد جاء القرآن الكريم بمنظومة متكاملة من القيم الأخلاقية، جُمعت في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث شهد الله له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، يريد بذلك إعطاء الثقة لأمته بكل قول أو سلوك يصدر عنه، فتقتدي به لأنه النموذج الأكمل، وفيها تعريض بالمشركين، الذين اتهموه بالجنون، كما صرح عليه الصلاة والسلام بأن محور وهدف رسالته، أن يقدم نموذج أخلاقي لم تكن تعرفه البشرية من قبل: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". (البخاري، في الأدب المفرد، باب حسن الخلق، ص273)، (البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب مكارم الأخلاق، 10/ 323، ح/ رقم 20782). وعند التأمل في آيات القرآن الكريم، تجد أنه أسس منهجيته في بناء وترسيخ مكارم الأخلاق لدى الفرد المسلم، بثلاثة أساليب.

**الأول: التوعية**: وذلك واضح من الانتشار المكثف في التذكير بالصفات الخلقية والتعريف بها، والحث عليها سواء بأسلوب طلبي أو خبري، ومن كثرة ذكره لها، فقد بلغت الآيات التي تحدثت عن الأخلاق، 1504 آيات. مقارنة بآيات العبادات 130 آية. والحديث عن هذا النوع يغلب عليه الجانب النظري، وبالتالي يصعب الإحاطة به، ويمكننا الرجوع إلى التفاسير في ذلك، يبقى أن أشير إلى أن القرآن الكريم، قدم نظرية أخلاقية لم يسبق لها مثيل، نستطيع بواسطتها أن نقيس أصالة وجوهر الفرد المسلم، هذه النظرية حقيقة يعترف بها القاصي والداني، حتى من لا يحفل بالقرآن؛ مضمونها: أن الأخلاق هي جوهر الدين، وأن الدين المعاملة.

**الثاني: التربية بالأحداث والمواقف:** وهذه تحققت من خلال مواقف صدرت من أفراد بعينهم؛ التغاضي عنها يشكل خطرا يؤدي إلى انفراط منظومة الأخلاق، فكان لزاما أن يُتحذ إجراء يُحدِث ضجة في ضمير الفرد الذي صدرت منه، والجماعة المسلمة الشاهدة عليه، بحيث يَنْفُذ إلى وجدانها فلا تكرره مرة أخرى. مثال ذلك:

* **الموقف الذي اتخذه أبي بكر الصديق من قريبه مسطح،** في عزمه التوقف عن الإنفاق عليه، فجاء الرد السريع بعدم المساس بهذه المنظومة أولا، ثم عدم السماح للقدوات بالانهزام أخلاقيا، وتصفية الحسابات الشخصية، مع الفئات الأضعف أخلاقيا ومهنيا، بقوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 22]. إن أبا بكر الصديق قد تصرف من بشريته، فى وصفه الانتقام من مسطح، حين خاض فى عرض السيدة عائشة دون مراعاة للقرابة ولا للمعروف ولا لشناعة التهمة، وهنا لا يهم سرد التفاصيل ولا تصوير المشاعر آنئذ، ما يهم من ذلك كله - ليكن نموذجا نسترشد به في بناء الفرد الذي نهدف إليه – هو نجاح هذا الأسلوب، في استعادة تلك القطعة التي أقسم أبو بكر على انتزاعها من ذلك البناء الضخم، الذي وضعه لبنة لبنة، من أول يوم وضع فيه يده بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي تمثل بقول أبي بكر رضي الله: "قد عفوت وصفحت، والله لا أمنعه معروفا كنت أوليه إياه قبل اليوم". ابن سلام (2004م، 1/ 435)، بل ويقال إنه ضاعف له العطاء فما أجمل منهجية القرآن التي هي رسالة الله لخلقه، لكن من يحسن قراءتها هو من يفوز، لا يليق بأبي بكر وضخامة رصيده الأخلاقي إلا الانتصار للقيم التي يحملها، والتي سبق وأن عرفه بها المجتمع المحيط به، أنى له أن ينقضها من بعد قوة أنكاثا وهو من أعلنه القرآن ذاته موئلا للضعفاء، وزعيما للأتقياء الأنقياء. ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)﴾ الليل، اتفق أهل التأويل على أن أول مقصود بهذه الآيات؛ أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما أعتق بلالا، قال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر إلا ليد كانت لبلال عنده. وهو قول من بهتانهم (يعللون به أنفسهم كراهية لأن يكون أبو بكر فعل ذلك محبة للمسلمين)، ابن عاشور (1984م، 30 / 391). وذكر ابن كثير (1999م، 8/ 422) إجماع المفسرين أنها في أبي بكر.

القرآن يقدم صورة حقيقية كاشفة لأحد أركان البناء والتغيير وقدوة من قدوات المجتمع، وأحد رجال الدولة المخلصين، المساهمين في تأسيسها ودعمها وتقديم الغالي والنفيس في تثبيت أركانها، دون مواربة أو تسجيل حالة استنكار واحدة، أو تبرير ذلك التصرف تحت أي ذريعة كانت، وبدوره لم يمن على المجتمع بتضحياته وإنجازاته، بل تقبل وعدل عن قراره، هكذا يتم تقويم رجال الدولة وتصحيح مسارهم، وهكذا يستجيب مهندسو بناء جيل النهضة، هذا المشهد خلده القرآن نموذجا يستنير ويتأسى به الفرد القدوة والمربي والمسؤول والمجاهد ومن في مقامهم؛ مفاده أن الانتصار في مثل هذه القضايا خسارة لا يمكن تعويضها، وأن الهزيمة والتراجع عن الثوابت والقيم ومنظومة الأخلاق التي ظل ينادي بها زمنا، سواءً أمام حضوض النفس، أو ضغط الواقع، أو إغراء المصلحة، أو سطوة السلطان، يمكن أن تفتن البسطاء من الناس، تشكك بك الصديق، وتشمت بك العدو، وتغري بك المتربص، تقوض ما بنيت، ومن كبوة هويت، لا بد أن يبتغي المسلم في حركاته وسكناته، وحزنه وفرحه ابتغاء وجه ربه الأعلى. فيرَضى عنه ويُرضي عنه الخلق، فينعكس ذلك على المجتمع، متأسيين به، مشاركين معه، لتحقيق النهضة الكبرى.

* **موقف القرآن من الثلاثة المخلفين في غزوة تبوك:** وهذا الموقف كان تربية لخلق الصدق عند هؤلاء الثلاثة، ودرس للمجتمع الإسلامي، حتى لا تتكاثر مثل هذه النماذج التي تتخلى عن القضايا الكبرى للمجتمع مختلقين أعذارا واهية مستقبلا فينهار البناء بأكمله، وكان من أقسى الدروس التي قدمها القرآن، ولو لم يكن إلا هذا التصوير القرآني للمشهد لكفى.: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119) ﴾ التوبة.

بداية هذه القصة مشهورة في كتب السير يمكن الرجوع إليها، سأقتصر هنا على موضع العبرة منها فقط، فعندما خرج المسلمون لمواجهة الروم تخلف نفر منهم، من بينهم هؤلاء الثلاثة، ولما كان تخلفهم تقاعسا مع توفر أسباب الخروج، فندموا ندما شديدا لكن بعد فوات الأوان، وبعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك، توافد عليه المخلفين وقدموا أعذارهم، ظنا أنه لن يعرف حقيقتهم مالم يوحى أليه فقبل أعذارهم واستغفر لهم، ما عدا هؤلاء الثلاثة، فقد استعظموا أن يكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرجأهم حتى يقضي الله فيهم أمره، وأمر بمقاطعتهم من الصحابة، واعتزال زوجاتهم، الشاهد من القصة نجاح هذا الأسلوب في المحافظة على أخلاق أفراد المجتمع الإسلامي، وبيان نتائج الصبر وتحمل تبعات قول الحقيقة مهما كلفت ففيها النجاه، وبقد استوعب كعب الدرس، فعاهد الله ألا يحدث إلا صدقا حتى يتوفاه الله، فأنزل الله: ﴿لَقَدْ تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ- إلى قوله- وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. قال كعب: فو الله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يومئذ ألا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا (ابن كثير،1999م، 4/ 230).

**الثالث**: **التربية بقامة الحدود:** بعض الأفراد تتعدى سلوكياتهم إلى الآخرين، فتقوض بنية المجتمع وسياجها الأخلاقي، أو تشيع فيه ثقافة الاستقواء وإرهاب الآمنين، أو تشجع إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وتغري بالخروج عن سنن الفطرة، وفي هذه الحالة لا يكفي النصح والتوجيه ولا التسامح والتغافل، ولا يناسبها التأنيب والتقريع، لذلك كان من منهجية القرآن في بناء أخلاقيات الفرد المسلم، أن شرع الحدود كحل نهائي وأسلوب أخير، حين لا يصلح معها أسلوب آخر. حتى لا تتحول إلى مجتمعات تحكمها الشهوات والغرائز، ويسود قانون الغاب فيها. ويكون الهدف من العقوبة حينئذ إصلاح وتهذيب سلوك الفرد، وليس الانتقام أو التشفي منه. وهذه جملة من الحدود التي جاءت في القرآن الكريم:

**حد الزنا**: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ **[**النور :2**]**، والزنا في تصور القرآن الكريم. انتكاسة في الفطرة، وتهدم أهم خلية في البناء الاجتماعي (الأسرة)، وتوجد أفرادا من الصعوبة أن يشكلوا عامل بناء إيجابي في المجتمع، وتلغي أهم خلق حث عليه الإسلام، (الحياء)، ولذا شدد في العقوبة وشنع على مقترفيها وأسقطهم في نظر المجتمع لدرجة منع زواج الزناه من العفيفات..

**حد السرقه:** منهجية القرآن الكريم أنها تربي ضمير الفرد، وتصرف همته وطاقته الجسدية، إلى العمل والكسب الحلال، ليعيش عيشا كريما، وتشجع حرية التملك ولكن بشرط عدم التعدي على ممتلكات الآخرين، أو التعدي على المال العام. وذلك كي يصير كل فرد لبنة بناء في بيت المجتمع الكبير، وفي سبيل الحفاظ على هذه القيمة شرع القرآن قطع يد السارق إذا توفرت شروطها: قال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: 38].

**حد الحرابة**: قال تعالى:" ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ...﴾ [المائدة: 33]. وهم مجموعة من الأفراد يقطعون الطرقات، فيسلبون ويقتلون، ويرتكبون سائر الموبقات، إثما وعدوانا، وهم بذالك التصرف يشكلون خطرا على منظومة القيم، فيستهدفون الأمن، والحرية، والكرامة الإنسانية. فاستحقوا هذه العقوبة المغلظة. ننظر كيف صور حربهم للناس بمثابة الحرب على الله ورسوله، فليس هناك فساد أعظم عند الله من محاربة مجتمع مسلم قائم بشريعة الله.

**حد القذف:** ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ **[**النور: 4**]**. إن رمي شخص بجريمة الزنا، ليس بالأمر الهين، لأن الأضرار الناجمة عن ذلك تؤدي إلى فضح أناس وتشويه سمعة أبريا وإلحاق الضرر بمن يتصلون بهم من الأهل والأقارب، وربما يؤدي إلى إزهاق أرواح بدافع غسل العار، ومن هنا استحق القاذف العقاب المذكور في الأية كجزء من العقاب الذي كان سيناله المقذوف في حال ثبوت الجريمة، ثمانين جلدة، وعدم قبول الشهادة،

وإطلاق وصف الفاسق، وذلك لأن ذمتهم مطعونة لعدم التثبت والتسرع دون بينة، فاستحقوا ذلك صونا للأعراض، وحتى لا تشاع الفاحشة في الذين آمنوا.

إن من أكبر مظاهر التكريم الإلهي تنيظم علاقات الجنس البشري في غرائزه، وجعله الضمان الوحيد لبقاء نوعه وطهارته، فأي فرد أو جهة تشجع التحرر وهتك رداء الحياء، وتجاوز حدود الشرع المنظم لهذه العلاقة، لا بد من إلقاء الرعب في قلوبهم بأقصى السبل. إن فوضى العلاقات الجنسية هي المعول الأول الذي أسقط حضارات على عروشها، لذلك كانت منهجية القرآن صارمة في هذا الشأن، ومن المقزز، إتجاه دول الغرب فيما هو أبشع من ذلك، وهو تقنين حرية الجنسية المثلية، والعمل على حمايتها بل وفرضها على الدول العربية برعاية أممية، تحت ما يسمى "اتفاقية السيداو"، وهي كارثة تنذر بالقضاء على النوع الإنساني، وزوال الأمم. إن بناء الفرد المسلم اليوم. يمثل أكبر التحديات خاصة في جانب الأخلاق، إن الانفتاح الكبير عبر وسائل التواصل دون قيود، يصيب أخلاق وقيم أجيالنا الصاعدة في مقتل، لا بد من ترشيد هذه الوسائل، ومتابعة ما يدور في الغرف المغلقة، وقبلها تربية أولادنا على أخلاق وقيم القرآن، وإشغالهم به حفظا وتلاوة؛ على الأقل بنفس القدر الذي ينشغلون به مع الجوال، وإلا سنندم.

**4. 4. العمل:** من أهم عوامل بناء الفرد الصالح النافع المؤثر، أن يكون لديه عمل يحفظ له كرامته، ويستطيع من خلاله توفير متطلبات الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، لذلك جاءت منهجية القرآن بتوجيه أفكار الناس ولفت أنظارهم إلى ضرورة العمل والكسب، ورتب على ذلك أجرا وثوابا يوازي أجر المجاهد في سبيل الله، كل ذلك ليصل بالمجتمع المسلم إلى حد الكفاية في الحصول على عيش كريم، يعف به نفسه وأفراد أسرته فيعيشوا حياة آمنة سوية، وتيعيش الأسر حياة مستقرة، عفيفة لا تتطلع إلى ما عند الآخرين. ولعظم هذا المقصد يرفض الإسلام التبطل والكسل ويحث على العمل والسعي في الأرض وشنع الاتكال على الغير، ومد اليد للآخرن، ومما جاء به القرآن بهذا الخصوص:

**الدعوة إلى العمل**: في قوله: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: 10]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]. وهذا يعنى أن يستنفد الإنسان جهده كله بالعمل الجاد، ويستنفر كل طاقاته العقلية والجسدية، "إنه الخليفة على هذه الأرض، ومقام الخلافة يقتضي أن يأخذ مكان الصدارة فيها، وفى تعدية الفعل «امشوا» بحرف الجر «فى» بدلا من «على» - إشارة إلى أن ينفذ الإنسان فى أعماق هذه المناكب، وإلى أن يعمل على كشف أسرارها، لا مجرد اتخاذها طريقا يمشى عليه" (الخطيب، 15/ 1060).

القرآن الكريم ينظر للعامل، نظرة تقدير، ويجعل عمله لا يقل شأواً عن الجهاد في سبيل الله، فيعذره أن قدم العمل على العبادات المستحبة ويجعل عملة يرقى إلى مقام العبادة لذلك قال تعالى معللا تخفيفه لقيام الليل بقوله: ﴿أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. [المزمل: 20]، بل العمل من منظور قرآني مهم، كقيمة حضارية تساهم في تطوير الفرد والمجتمعات والأمم، بما تعكسه على الحياة الاجتماعية للإنسان. بدءً بتفعيل دوره في تنمية ذاته، وانتهاءً بالمساهمة برفد المجتمع بعنصر فعال يشاركه همومه وآلامه ويبذل بسخاء متى ما دعاه نداء الواجب، العمل يتيح للفرد الفرصه لينهض بمجتمعه؛ فيتم القضاء على البطالة وينعم المجتمع بالخير والنماء.

إن الأنبياء على جلالة قدرهم وعلوّ مكانتهم عند الله -تعالى- إلا أنهم كانت لديهم أعمال، وكانوا أصحاب حرف يتكسبون منها، وقاموا بأدوار تخدم أقوامهم، فيوسف عليه السلام طلب العمل، (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ)، [يوسف: 55] وقال في داودعليه السلام: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ)،[الأنبياء: 80] أي صناعة الدروع، وهي صنعة شاقة ومع ذلك عمل بها، وجاء عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ نَجْنِي الكَبَاثَ، فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ مِنْهُ فَإِنَّهُ أَيْطَبُ» فَقَالَ: أَكُنْتَ تَرْعَى الغَنَمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا رَعَاهَا». (البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: يعكفون على أصنام لهم (7/ 81) ح/ 5453). وبالإضافة إلى كون العمل عبادة يتقرب به العبد إلى ربه لتوفير متطلبات أسرته وتأمين ما يلزمهم، فهو وسيلة ل:

- **تحقيق الأمن المجتمعي بين أفراد المجتمع:** وهذا بدوره يقود إلى تحقيق التوازن والسلام والانسجام في المجتمع المسلم، فلا يحقد الفقير على الغني، ولا يحقد على المجتمع الذي ينبذ المتبطلين فيتحول إلى وحش كاسر يسلب وينهب. كما تختفي مظاهر السرقة والتسول، وأعمال البلطجة والبطالة.

- **الزيادة في الإنتاج المحلي ورفع مستوى الاقتصاد:** وهذا من أهم عوامل البناء للمجتمع، حيث تتعدد المهن والحرف، وتفتح المصانع وتتوسع أعمال التجارة، فتعود آثارها لرفد أفراد المجتمع، كالاهتمام بالتعليم والمواهب وتنمية قدرات الشباب، وغيرها. إن تحسن

مستوى الدخل تشكل رافدا قويا للاقتصاد القومي، واستغلال موارد البلد الطبيعية، بوجود عمالة محلية لديها الوعي الكافي بأهمية دورها مما يؤدي إلى تحسين الإنتاج وتوفر الخدمات مما يخلق حالة من الرضى ويعم الاستقرار لدى الأفراد.

ختاما: إن فاقد الشيء لا يعطيه؛ فكيف ننظر لبناء مجتمع أو دولة مدنية حديثة، على أنقاض قطاع من العاطلين والجوعى والمعوزين، فذا أردنا أن ننهض بمجتمع لا بد أن نبنيه بأفراد لا يمدون أيدهيم للآخرين، لا نبنيه بـأفراد يتزاحمون على أبواب المنظمات الخارجية، لقلة موارد الدولة، على المجتمع والدولة النائبة عنه أن توفر سبل العمل، بأن تفرض هيبة الدولة، ليأمن العمال على مصادر كسيهم وممتلكاتهم، وأن تعلمه كيف يعمل، وأن توفر له فرص للعمل، وتعمل على تكافؤ الفرص، وتشجع الاستثمار والإنتاج المحلي بحيث لا يبقى هناك عاطلا وهو قادر على الكسب.

**4. 5. التوسط والاعتدال (التوازن):** من أهم خصائص رسالة الإسلام، ومما تميزت به على غيره من الرسالات، وقد كانت هذه الخاصية عامل أساسي في منهجية القرآن الكريم لبناء الفرد المسلم المؤمل منه صناعة التغيير، يل جاءت في معرض الامتنان بهذا التكريم على أمة الإسلام، فقد اختار لها هذا الفضل من بين سائر الأمم. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]. لا يوجد نظاما ولا دين على الإطلاق، كنظام ودين الإسلام توازنا في مبادئه ونظمه وتشريعاته، ولم نسمع بمجتمع كالذي أنشأه الإسلام انسجاما وتناغما مع منهجة ونظامه. هذه الوسطية في الاية. أما الشهادة، فأميل إلى ما رجحه الرازي: أن أداء هذه الشهادة يكون في الدنيا، معللا ذلك بقوله: "وإنما قلنا: إن ذلك يقتضي صيرورتهم شهودا في الدنيا. لقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، رتب كونهم شهداء على صيرورتهم وسطا ترتيب ا لجزاء على الشرط، فذا حصل وصف كونهم وسطا في الدنيا وجب وصف كونهم شهداء في الدنيا" (الرازي، 1420هـ، 4/ 88).

لقد حددت هذه الآية المعيار الذي تقوم عليه مهمة الشهود الحضاري على الأمم، بـ ن الذين يقومون بهذا الشرف، هم من يحملون منهج الوسطية في كل شيء، فلا يقررون حكما عشوائيا مبنيا على العاطفة، ولا ينظرون من زوايا ضيقة فيحجرون واسعا، إن أصحاب الرأي الأحادي أو من يضعون الأشخاص مقابل الأفكار، يصادمون النواميس، ويصادمون الفطرة، وبصادمون هذا الدين، فبدلا من أن يكونوا عامل بناء، يتحولون إلى عامل هدم. وإنها وظيفة لا يمكن أن يؤديها من لم يحمل نفسه على اكتسابها. إن منهجية القرآن واضحة، في مراعاة ضعف الإنسان وقصوره، فلا تتجاوز به حدود وسعه وطاقته، ولا تتجاهل فطرته، ودوافعها. فمن نحن حتى ننصب أنفسنا في مقام رب العالمين؛ الذي أعلى عبده وجعله حرا مختار، ثم نأت نحن ونرميه من شاهق إلى أسفل منهج، وأردأ رأي فقط لأننا ارتضيناه.

يقول سيد: إنها الأمة التي تشهد على الناس قاطبةً، فتضع لهم الموازين والقيم، وتحكم بينهم بالقسط والعدل، فهي أمة وسطا سواء من الوساطة بمعنى الفضل والحسن، أو من الوسط بمعنى القصد والاعتدال، أو من الوسط بمعناه الحسي والمادي.. وسطا في الاعتقاد التصور لا تهتم بالروح على على حساب المادة والعكس، وسطا في الشعور والتفكير، وسطا في العلاقات والارتباطات، لا تجعل شخصية الفرد ومقوماته، تتلاشى أمام سطوة الجماعة أو قوة الدولة، ولا تطلق له العنان فيغدو لا هم له إلا ذاته... وسطا بموقعها هذا تشهد الناس جميعاً، وتشهد على الناس جميعاً (سيد، 1412م، 1 / 130).

**التوازن في القرآن:**

- **التوازن بين متطلبات الروح والبدن:** جاءت آياته تحث بضرورة الاعتناء بالبناء الروحي والمادي للفرد، والموازنة بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، بقوله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77].

- **التوازن في النفقة:** ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]. ومثلها ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67]. وقد بين في آيات عديدة مضار الإسراف وعاقبة المسرفين لتتربى الأمة على التوازن والاعتدال في الجانب الاقتصادي.

- **التوازن في رفع الصوت:** ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 110]، إشارة واضحة إلى الوسطية في الإسلام، حتى في مستوى الصوت في الصلاة، وهذا الهدف بعينه هو الذي ترمي إليه الشريعة بتناول أصغر الأمور إلى أكبرها لتثبيت هذا المنهج الفطري. كما يذم من يرفع صوته زيادة عن الحاجة ويسبب فوضى وإزعاجا للغير ويقارنهم بالحمير فقال: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ

وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19]. حتى المشي يكون وسطا لا يوحي بالكبر والغطرسة، ولا يوحي بالذل والمسكنة، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37].

- **التوازن في المشاعر:** فقوله: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى مَا فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾ [الحديد: 23]. تشير إلى النفس المطمئنة عند استقبال المصائب والحوادث بأنواعها، فتتصبر وتتعقل في حال مسها الضر، وتشكر الله ولا تبطر وتبالغ في الفرح الذي يجعلها تفقد اتزانها عند السراء، ولا يصيبها الغرور بنيل مركز أو تبوء سلطة فتستقوي على الخلق وتتكبر عليهم وتنسى فضل الله عليها. إن توجيهات القرآن الكريم تدعو إلى بناء الإنسان من الداخل، قلبه ومشاعره وإرادته، حتى إذا صار متوازنا مستقرا على هدى من الله، استطاع أن يواجه المصاعب والأزمات، فلا يهزم أمام تغير الأحوال وتبدلها ولا يكثر من الشكوى، ولا يتحول لشخص معتل النفس، صعب المزاج، سوداوي النظرة، ناقم على المجتمع، بل يحاول جاهدا أن يغير واقعه حسب الوسائل المتاحة حتى يجعل له الله فرجا ومخرجا.

- **التوازن بين العمل والعبادة:** ومن أجمل صور التوازن التي تضمنتها منهجية القرآن: هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. هذه الآية في نظري تمثل أعلى درجات التوازن، لنرى كيف تقدم الفرد المسلم بصورة مثيرة للإعجاب؟، فهو الذي يعطي لكل مقام حقه من الاهتمام، أيها التاجر تذكر وأنت في قمة حماسك لبيع سلعة وتسويقها، وجذب العميل إليها بشتى الطرق، تذكر أن تذكر الله وليس أي ذكر! بل ذكرا كثيرا، فأنت معرض للحلف، معرض للكذب، معرض للغش والخداع، فاجعل الله في ذهنك، اجعله رقيبا عليك، إياك أن تركز على المال لتربح، وتنسى رفقة الله لك فتخسر. فأن الانشغال في التجارة سبب للغفلة عن القيام بالطاعات، فالموازنة بين المصالح الآجلة والعاجلة من أهم ما جاء به القرآن لبناء الشخصية السوية.

- **التوازن هدي نبوي،** والتوسط في كل شيء شعارالنبي عليه أفضل الصلاة والتسليم: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟» فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَلاَ تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» (البخاري، كتاب: الصوم. باب: حق الجسم في الصوم، 3/ 39) ح/ 1975)، فعندما كبر في السن ندم أشد الندم أنه لم يعمل بهذا النهج، ذلك أن غياب التوازن في حياة الإنسان يسبب له اختلال في حياته واعتلال في بدنه، لايدركه إلا بعد فوات الأوان.

ممَّا سبق على الفرد أن يكون متوازنا في حياته، فلا يكرس حياته للعمل على حساب الجوانب الأخرى، فيهمل قيامه بواجباته الدينية والأسرية، والصحية والنفسية، كذلك لا يكرس حياته للعبادة ويهمل العمل، ويعرض أولاده وأسرته لسؤال الناس، كما ينبغي أن يوازن بين مصالحه ومصالح الآخرين، وهنا يقع على عاتق المجتمع دور الموازنة بين مصالح الفرد والمجتمع، فلا يسحق فرد تحت سطوة المجتمع. ولا يذبح مجتمع تحت مقصلة فرد. على المجتمع ألّا ينفخ في الفرد للدرجة التي يستقوي فيها عليه، ويأتي واجب الأسرة في المقام الأول، في تربية أفرادها على هذا المبدأ، فلا تتجاوز الحد في تدليلة وتلبية رغباته، ولا تحرمه وتقسو عليه للدرجة التي تجعله ناقما على من حوله.

- **غياب التوازن والوسطية**: من أسباب ذلك الفهم القاصر وضيق الأفق وانعدام الرؤية الشمولية، مما يؤدي إلى خلق صورة مشوهة عن القيم والدين بشكل عام، وتطرف وانحراف في الفكر والتصرفات، فينسلخ عمّا يمت للدين بصله. وهنا ينبغي التركيز من أجل بناء الفرد المتوازن المعتدل الوسطي منهجا وسلوكا، لا بد من بناء أفكار الفرد على المعلومات والمعطيات الصحيحة، ونركز على صواب طرق التفكير لدى الفرد في المقام الأول، بحيث يصبح له تصور فكري واضح في كل قضايا المجتمع؛ الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، إن واحدة من مشاكل المجتمعات اليوم، هو ضياع القضايا ودفن الحقائق بين إفراط وتفريط، وشقاء المجتع بتطرف أفراده فكريا وسلوكيا.

على الفرد أن يحمي فكره من استغلال أصحاب المصالح الخاصة، الذين يسعون لقولبة العقول حسب ما تمليه مصالحهم الضيقة، وبالتالي توجيه انفعالات وعواطف الأمة بحيث تكون خادمة لتوجهاتهم التي لا تخدم عموم الأمة، وإنما تخدم مصالحهم الضيقة. إذاً أول خطوة في توازن الفرد هي: ضمان طرق تفكير سليمة، تميز وتغربل المعلومات والأفكار التي تصلها بحيث لا تصير العقول مطية لهذا وذاك، كذلك أساليب التربية في الصغر، لا بد أن يحرص الأباء والمربون على تربية الطفل على التوازن والتوسط في الأخذ والعطاء

والحقوق والواجبات، فالوسطية والتوازن قانون إلهي محكم وسنة كونية دقيقة، إذا خرج الإنسان عن هذا القانون انتكس، وخسر، إن أكبر عامل هدم لبنيان الأسر والمجتمعات تطرف أفراده، وما ينتج عنه من سلوكيات.

**4. 6. السماح بارتكاب الخطأ:** من أهم العوامل في بناء شخصية الفرد المسلم، والطفل على وجه الخصوص، أن يربي فيه التوازن والاعتدال، ويختبر فيه قوة الإرادة، ويظهر قوة المقاومة فيه، بل يهظر حقيقة التقوى والورع، والشعور بمعية الله وليس الخوف من الرقابة البشرية. وذلك بحسن إدارته واستثماره، كتدريب عملي واقعي ذاتي في تجاوز الأخطاء وتصحيح المسار، لا خلاف بأن الله خلق الإنسان خطَّاءً لحكمة، منها أن يعبد المسلم ربه بالتوبة والرجوع إليه. ليلتمس رحمته وعفوه ولطفه، ولذلك لو لم يخلق الله الإنسان بهذه الصفة لما شرع له التوبة. ولكن حكمة أن يكون له تجارب عملية في حال واجه موقف مشابه، أن يمتلك المهارة في انتشال المخطئ من مستنقعه، سيشكل من أخطائه واستيعاب دروسه جسرا، يتشبث به العالقون في أنفاق نفوسهم المضطربة، وهو في موقع المسؤولية غدا، سيقدم نموذجا لأولاده وطلابه ومجتمعه كيف يعدل الخطأ دون أن يهشم المخطئ. ولنا في منهج القرآن خير شاهد في تدريب وإعداد الفرد، بالتعلم من أخطائه وأخذ العبر من التاريخ، فالله عز وجل عندما عهد بالخلافة لآدم، بدأ بعملية تدريبه وتأهيله قبل أن يكلفه، وكان أول تدريب تلقاه آدم، أن وضعه في مكان خاص للإعداد لتلك المهمة العظيمة، ووضع له كل وسائل الراحة والسلامة، ثم أعطاه التحذيرات مما هو ممنوع الاقتراب منه، وأعلمه مكان الشجرة قصدا، لتكتمل عناصر الاختبار. ومع ذلك وقع في الخطأ والنسيان بالأكل من الشجرة. "هذه التجربة كانت تربية لهذا الخليفة وإيقاظا للقوى المذخورة في كيانه. وتدريباً له على تلقي الغواية، وتجرع الندامة، ومعرفة العدو، والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين. إن قصة الشجرة المحرمة، ووسوسة الشيطان باللذة، ونسيان العهد بالمعصية، والصحوة من بعد السكرة، والندم وطلب المغفرة.. إنها هي هي تجربة البشرية المتجددة المكرورة! لقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته، مزوداً بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها طويلاً، استعداداً للمعركة الدائبة وموعظة وتحذيراً " (سيد، 1412م، 1 / 95).

إن أولئك الذين يريدون من البشر أن يكونوا ملائكة، هم في الحقيقة يخالفون منهج الله، ومن المؤسف أن نرى البعض يطرد طالبا من مجلس علمه؛ لأنه رآه أو نُقل له أنه قد ارتكب ذنبا أو خطأً ، البعض يُحَرِّمون على أبنائهم الكثير مما يباح لغير المكلفين، وأحدهم قد يمنع أبناءه وأهله من حقهم في الاختيار، حتى لا يعتادوا مخالفته، بعض الآباء والمربين يمارسون نوعا من الإرهاب الفكري على أبنائهم، ويمُلون عليهم أفكارهم وطريقة تدينهم، باختصار يريدون أبناءهم أو طلابهم نسخا مكررة عنهم، معتبرين أن طريقتهم منهج المتقين، وما دونها طريق العصاة المتفلتين، ثم ماذا؟ يكبر الطفل ويغادر بيئته لدراسة أو عمل، وربما يترك وطنه، في الغالب مثل هؤلاء إما يسقطون سريعا - وقد رأينا ذلك واقعا- لأنه ليس لديهم خبرة في التعامل مع الأخطاء، وكيفية تجاوز ما وقعوا فيه، والبعض يجدها فرصة لتجريب كل ما منع منه. إن الرحمة بالمخطىء من أرقى المشاعر الإنسانية، التي ينبغي أن نتحلى بها، والحكمة في التعامل مع أخطاء الغير فن لا تجيده إلا النفوس العظيمة، لا بد من إيصال الناس إلى الله حبا لا جبرا، لا يجوز وضع ما حقه الكراهة في مصاف الحرام والعكس. ولنتيح الفرصة لأبنائنا بممارسة أخطائهم وإظهار نقصهم أمامنا، فنقومها في وقتها، فذلك أفضل من ممارستها في أماكن أخرى فيُشجعون عليها ويستعلون على نصائحنا وتوجيهاتنا. فكيف ستُختَبر إرادته وحقيقة تقواه؟، ولم يتعرض لأي اختبار، كيف ستُختبر عفته؟ إذا لم يتعرض في حياته لأي فتنة.

بالمقابل على المربي، أن يدع من يربيه، يرى أنه بشر أيضا، لا يريه جانبا واحدا منه، بل يدعه يراه في كل حالاته البشرية، والحذر من إسقاط المذنب ونبذه، فلن يرتكب الخطأ مرة أخرى إلا خفية، إن استيعاب الضعف البشري، وتقبل فكرة الاستعداد الفطري للوقوع في الخطأ، تلقي في روع الفرد قدراً من الهدوء والاتزان وقت وقوع الخطأ، فلا يتأزّم ويفقد طريق الرجوع وشجاعة تحمل التبعات والتصحيح للخطأ وقبول النصح وتجديد التوبة، فيتعلم الدرس ومحاولة الرجوع كلما أخطأ، ولعمري هذا هو بناء الشخصية النجيبة الخبيرة التي تعرف متى تثور ومتى تستكين.

**5. الثمرات التي تعود على المجتمع من بناء الفرد:** إن بناء الفرد فكريا وعلميا، روحيا ونفسيا، خلقيا وسلوكيا، عمليا وجسديا، مع تحقيق التوازن بين هذه العوامل، يقدم للمجتمع المسلم نماذج متزنة ناجحة حكيمة، تمسك بيد المقصر والضعيف والمحبط والمنحرف، وتساعده في إنقاذ ذاته ليكون فردا صالحا وذا أثر، ويتم إرفاد المجتمع بالكوادر والقيادات الرشيدة المؤهلة، والواعية بواجباتها تجاه المجتمع، القادرة على تلبية تطلعاته، فتوكل إليهم المهام المختلفة، فيتمكنون من إدارة الأزمات التي تمر بالبلاد، ومواجهتها، وقد قدم القرآن الكريم بعض من هذه الثمرات التي جنتها الجماعة المسلمة كنتائج للبناء السليم ولعل أهمها:

**5. 1. النصر والتمكين للجماعة المسلمة:** بدأ بناء النبي صلى الله عليه وسلم لأفراد الطليعة الأولى من أصحابة بعدد قليل في مكة، ثم توسعت عملية البناء وتطورت في المدينة كما وكيفا، حتى بدأت تحصد نتائج وثمرات وفوائد هذا البناء الذي عاد على المجتمع الإسلامي ككل، والذي لخصته سورة الفتح، التي أظهرت نتائج هذا البناء ملموسة ظاهرة لا يمكن تجاهلها سواء ماديا ومعنوي وسياسيا وعسكريا ودينيا،فقد هابتهم القبائل، وقدم المتخلون من أعراب إلى الاعتذار، وخفت صوت المنافقين وازدادوا ضآلة، وكسروا شوكة اليهود خيبر والشام وغيرها، وبعث الرسول عليه الصلاة والسلام وفوده للتفاوض، وبعث سراياه لمن لم ينضوي تحت هيمنة الدولة، حتى جاء اليوم الذي يغزو فيه مكة ويدخلها ظافرا منتصرا مهابا، وكانت العاقبة لذلك المجتمع المسلم الذي تكبد العناء في طريق التغيير والنهوض بذلك المجتمع الجاهلي البعيد كل البعد عن بوادر النهوض الحضاري، وسجل هذه النهاية القرآن معلنا بيان ذلك النصر، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2)﴾ (سيد، 1412م، 6 / 3317). وعاد إلى مكة منتصرا، وأهلها الذين أخرجوه طريدا شريدا، ووقفوا في طريق الدعوة بكل ما أوتوا من قوة، لقد نسي حينها فرحة النصر وانحنى شاكرا متواضعا. فتحقق وعد الله.

**5. 2. تحقيق الخيرية في أمة محمد:** وحيازة الفضل والشرف في قيادة البشرية إلى كل خير. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]. "هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب، التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس، نصحا، ومحبة للخير، ودعوة، وتعليما، وإرشادا، وأمرا بالمعروف، ونهيا عن المنكر، وجمعا بين تكميل الخلق، والسعي في منافعهم، بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان" (السعدي، 2000م، 972). وهذا يدل على أن البناء السليم الذي تحقق في الجيل الأول، قد برزت ثماره ليس على مستوى الجزيرة العربية وإنما على مستوى العالم، كما حصدت ثمرته الجماعة المسلمة فكانوا السابقين للخير ومحاربة الشر، كانوا الطليعة الأولى التي أنارت للبشرية طريقها بما لديهم من التزام بهدي الله وبما حملوا للعالم من قيم الحضارة وأسس النهضة، وكانوا أهلا لذلك بعلمهم، وقيامهم بحق الخلافة، فحافظوا على هذه الخيرية بالنهوض بحقها من التصدي للشر والدعوة للخير واجتثاث عوامل الفساد وإرساء قواعد الحق والعدل، لتحقيق مراد الله الذي ارتضاه لعباده. وهذا متحقق في كل عصر إذا تحققت عوامل البناء على النحو الذي ذكرناه.

**5. 3. نماذج للفرد المؤثر في القرآن الكريم:**

**- نموذج موسى عليه السلام**. قال -تعالى-: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، لا شك من كمال سيدنا موسى، وامتلاكه لكل مقومات بناء الفرد، لكن من حكمة ابنة شعيب لتقنع أباها بتوظيفه، أنها اختصرت سيرته الذاتية بأهم صفتين يفضلهما أرباب الأعمال، وبهما تنمو وتزدهر المؤسسات والتجارات، فكان قولها فصلا، قالت: "فن خير من تستأجره للرعى القوىّ على حفظ الماشية والقيام عليها فى إصلاحها وصلاحها، الأمين: الذي لا تخاف خيانته فيما تأتمنه عليه منها. ولا يخفى أن مقالها من جوامع الكلم والحكمة البالغة، لأنه متى اجتمعت هاتان الصفتان: الأمانة والكفاية فى القائم بأداء أمر من الأمور تكلّل عمله بالظفر وكفل له أسباب النجاح" (المراغي، 1946م، 20/ 51)، فلم يتراجع موسى؟ بل مضى وإن كان الشرط قاسيا، هذه أيضا من الثمار، فـ عداد الفرد وبناؤه سيكون رافدا لمجتمعه، مادامت هناك حاجة إليه، وهذا ينقلنا لمشهد آخر وقد تحقق لموسى من التمكين والكفاءة والخبرة، ما يفوق ما كان عليه في هذا اليوم، عندما كُلف بمهمة دعوة فرعون، طلب تكليف أخيه معه لأنه يمتلك مهارة لا يمتلكها، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34)﴾ القصص، وهذه من الثمرات التي حصدها هارون وأي شرف أن يكلفه رب العالمين، فكانت قوة بيانه، مرشحه له لهذا المنصب، وكذلك صفحته البيضاء عند بني إسرائيل، أما موسى فقد سبق وقتل منهم نفسا. إذا موسى كان يعلم تمام العلم مؤهلات هذه الوظيفة، لينجح في تنفيذ المهمة فلا يفشل.

**- نموذج يوسف عليه السلام**. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55)﴾ يوسف.. سنرى كيف شكل يوسف وهو فرد واحد رافدا لمصر؟ وكيف استطاع بما لديه من مؤهلات أن يجنب مصر أكبر أزمة في التاريخ، بداية سبب هذا القول معروف وهو رؤيا الملك، والتي لم يفسرها إلا يوسف السجين، وخلاصتها، أن مصر ستمر بمرحلتين: مرحلة خير وخصب لمدة سبع سنوات، ثم تعقبها مرحلة الجدب والقحط لسبع سنوات أخرى، ومالم تضع معالجة لمواجهة تلك السبع العجاف من يومها، فهي مقبلة على مجاعة لا تبقي ولا تذر.

ننظر إلى براعة ودهاء يوسف!، هو لم يفسر الرؤيا فقط، هو قدم الحل أيضا بخطة شفهية، يقدم بها نفسه ويظهر قدراته، ليغري الملك بمقابلته، فلما طلب مقابلته، أراد أن يثبت براءته من تهمة الفاحشة فقد كانت معروفة ومنتشرة، فكان له ما أراد فقابله، وفي حديثه مع الملك يكتشف جانبا من ميزاته، وأنه موضع ثقه، فعرض عليه أن يكون من رجال دولته "إنك اليوم لدينا مكين أمين "، لكن سيدنا

يوسف الذي رأى من نفسه القدرة والحنكة لتجاوز هذه الأزمة، طلب أن يكون هو المنفذ للخطة التي اقترحها، بأن يكون المسؤول المباشر على خزائن الأرض، ويشرف بنفسه على كل ما يُصَّدر للدولة من الحصاد ، ثم إعادة توزيعه بطريقه منظمة بدون إسراف، وهنا قدم مبرراته للملك، "إني حفيظ"، والحفظ هنا تعني الضبط والحزم والصرامة في اتخاذ القرارات، وحمل الناس عليها وعدم التردد لأي سبب كان، ثم أردفه بالميزة الأخرى "عليم" وقد علم الملك ذلك بتفسيره الرؤيا، وما لديه من خبرات ومهارات في التخطيط والإدارة والتقييم وغيرها، إذاً لا أحد أقدر منه على التعامل مع هذه الأزمة، مع ما يمتلك من صدق وإخلاص وعفة يعرفها الجميع. فنجح في ذلك وشكل دعما كبيرا لسلطة مصر وشعبها.هكذا يعود بناء الفرد بناءً قويا، بالمنافع والثمار اليانعه على المجتمع، ويمتد ليصل نفعه للصديق والعدو، وهذه أخلاق العظماء، فخيرهم لا يحده دين ولا وطن، ولا يمنعه سوء ظن ولا يصده تعرض لأذى أو سجن، وبهذا يعلمنا يوسف عليه السلام، أن المحافظة على بنية المجتمع والسعي لرفاهيته وتقدمه، ومد يد العون للمحتاج واجب إنساني قبل أن يكون واجبا دينيا، تُعلمنا هذه القصة أن من يستطيع أن يفرض عملية التغيير، ويصنع النهضة والرقي للمجتمع، ومن يستطيع حماية البلدان، هو الشخص الذي قد بنى نفسه أولا، ففاقد الشيء لا يعطيه، وبناء الدول والحضارات يكون بالمؤهلات والمهارات والكفاءات، وأهم الميزات التي يتحلى بها رواد النهضة والتغيير، الحزم والعلم والعدل، والعفة، الأيادي المرتعشة لا تبني وطنا، والجهلة لن يتعايشوا إلا مع خفافيش الظلام، والعفة تدنسها مد الأيدي على المال العام.

**- ذو القرنين:** انجذاب أفراد المجتمع دائما للشخصيات الناجحة لما لديها من مهارات وقدرات، فتتكامل الأدوار وتتلاقح الأفكار، وتتحقق الثمار. فلو رجعنا إلى القصة في أوخر الكهف، نجده قد امتلك جميع مفومات البناء، وأسباب القوة من علم وملك ومال ومهارة، وخبرة هندسية بالعمارة وطرق التنمية، وقوة جسد وإيمان وذكاء، أوجزته الآية: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾. [الكهف: 84]. بينما القوم الذين استعانوا به حين وصل أليهم كانوا يفتقرون لكل مقومات البناء والتنمية، الضعف والوهن، والتخلف والجهل، حتى اللغة، لذلك تسلط عليهم يأجوج ومأجوج، والشيء الوحيد الذي يملكوه كان المال والرجال "القوة البشرية"، يدل عليه قولهم: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا .... فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: 94، 95]. والخرج: الأجرة. وهذا أكبر دليل على أن القوة المادية وحدها لا تقيم حضارة، ولا تحقق تنمية، وكذلك الشعوب التي تفتقر لعوامل البناء، فهم غثاء وقد يشكلون عائقا أمام التنمية، وهذا ما سبق أن بينته في زوال أمم وحضارت كانت في أوج قوتها المادية، لكنها سقطت بسقوط القيم ومخالفة أوامر الله.

أما بالنسبة لذي القرنين وأخذ العبر من هذه القصة، فتكمن في النتائج والثمرات التي عادت على أولئك القوم، بتحقق الأمن والأمان ووضع حد جذري للمشكلة التي كانت تؤرقهم ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [97]، وما كان ذلك ليكون لولا أن رُزِقوا بتلك القيادة المحنكة الرشيدة، التي سخرت كل قدراتها وإمكاناتها، والنعم التي لديها في خدمة قضيتها، ونصرة المظلومين. وهذه بعض الثمار والفوائد التي تعود على المجتمع، غير ماسبق، أشير إليها بيجاز:

1 - ارتفاع نسبة وعي الأفراد بحقوقهم المشروعة، وتحقيق التعاون المشترك بينهم، وترسيخ قيم التعايش والمواطنة المتساوية.

2 - تحقيق الاستقرار النفسي للأفرد، لتوفر فرص العمل في جميع المجالات، وحسن استغلال موارد الدولة، وتقليص دوائر الفساد، مما ينعكاس أثره على المجتمع في ترسيخ دعائم الأمن ونبذ العنف، والتعامل مع المشكلات الحياتيّة بكل توازن. فيعيشون بسعادة وهناء،

3 - تحرير العقل المسلم من الأوهام والخرافات والرواسب المثبطة للتفكر والتفكير، والإدراك الصحيح للواقع المحلي والعالمي.

4 – ضرورة مواجهة التحديات العلمية والتكنولوجية، والاستفادة من كل جديد بما يحقق التغيير المنشود في سبيل نهضة المجتمع.

5 - الشعور بالانتماء والولاء للمجتمع، وتحقيق التكامل بين أفراده، والاحتماء به. مع تحقيق التوازن بين مصلحة الفرد والجماعة.

6 - وجود الفرد المسلم الذي يستطيع التفكير بحرية، ضمان لخلق قيم جديدة للمجتمع، وإيجاد قوانين رشيدة، وخطط مستقبلية، تساهم في تطور المجتمع نحو الأفضل، وأخذه بوسائل التنمية الحديثه، وتبوئه في مصاف الأمم، بما لديه من رصيد حضاري ضخم، يمكن الاستفادة منه في الولوج لعالم، فيكون عنصرا فاعلا في مسرح الأحداث العالمية، لا مفعولا فيه كما هو اليوم، وبذلك تعيد توجيه البشرية، فتكون عاملا مؤثرا وملجأً للمظلومين.

7 - بقدر ما يمتلك الفرد من علم ومعرفة واطلاع، بقدر ما تتحقق فيه صفة الخشية الدافعة إلى سمو الروح، والارتقاء في مراتب الكمال الإنساني، فتنال حضها من قيم التسامح والرحمة والعدل، ورسوخ قدمٍ في الحق، فلا تؤذي خلقا ولا تفزع طيرا، فيتحقق السلام، ويعم الأمن، وتُحقن الدماء، وتعود الأمة إلى رشدها. وهذه هي ثمرة العلم الحقيقي.: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر [28].

**6. الخاتمة:** من خلال ما تناولته في هذا البحث، تبين أن بناء الفرد المسلم أهم بكثير من بناء العمران وزخرفتها، فالفرد هو من يعطي للوطن قيمته، وهو من يحميه ويطوره، كثيرة هي الأوطان التي تدمرت، بسبب ضعف وهشاشة أفرادها، ويحضرني تلك القصة التي يعلمها الكثير حول بناء سور الصين العظيم، لظنهم أنه سيحقق لهم الأمن والتصدي لأي غزو خارجي؛ وذلك لمتانته وشدة ارتفاعه التي

تعجز أي جيش - مهما بلغت قوته - على تسلقه واختراقه، فكانت النتيجة أنه في المائة سنة الأولى بعد بناء السور، أن تعرضت الصين للغزو ثلاث مرات! وفى كل مرة لم تكن جحافل العدو البرية فى حاجة إلى اختراق السور أو تسلقه! بل كانوا في كل مرة يدفعون للحارس الرشوة، ثم يدخلون عبر الباب. لقد انشغل الصينيون ببناء السور ونسوا بناء الحارس.. فبناء الإنسان يأتي قبل بناء كل شيء، وهذا ما نحتاجه اليوم، وهذا الدور، يقع على عاتق الأسرة والمعلم والمؤسسة التعليمية بشكل عام، ولذلك يحرص أعداء الإسلام على ألّا يكون للفرد ارتباط قوي بهذه الدوائر الثلاث، ويسعون بشتى الوسائل لتدميرها حتى لا تقوم للمسلمين حضارة.

### 6. 1. النتائج:

- إن بناء الفرد المسلم، يشمل البناء المادي والروحي والعقلي، والنفسي والوجداني والسلوكي مع عدم تغليب جانب على آخر. لإكسابه المقومات التي تؤهله لأن يفيد مجتمعه وأمته وأن يكون له دورا فاعلا في تقجمه ونهضته

- إن الإنسان سيد هذه الأرض، وهو أكرم وأعز وأغلى ثروة يتوجب صيانتها والمحافظة عليها، ويجب تجريم استغلاله أو استعباده أو إذلاله بأي شكل من الأشكال، من أجل تحقيق أي كسب مادي، فكل الماديات مخلوقة أو مصنوعة من أجله.

- إن القيمة الكبرى للإنسان تمثلت في الإعلان بأنه خليفة الله في الأرض، لكن عقد الاستخلاف قائم على تلقي الأوامر من الله والاسترشاد بهداه، والسير على منهجه في الحياة.

- إن نظرة القرآن الكريم للفرد، أن الأصل فيه الكرامة، وأنها صفة ملازمة له، لكونه إنسان بغض النظر عن لونه وعرقه، دينه ومذهبه، وأن الله سبحانه هو مصدر هذه الكرامة.

- يقرر القرآن الكريم مظاهر تكريم الله للإنسان، ومنها: خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، خلق الإنسان في أحسن تقويم، ميزه بالعقل، خصه بالبيان، جعله محور الرسالات، جعله مخيرا، وسخر له ما في السماوات والأرض ليقوم بواجب الخلافة على أتم وجه.

- كما بين أن مظاهر الضعف فيه، ناشئة عن خلقته من تراب، لذلك اتصف بالغفلة والنسيان، الجزع والخوف عند تغير الحال، العجلة والتسرع، عدم القناعة، وجحود النعمة، الجدل والخصام، الظلم والجهل.

- الفرد هو نواة المجتمع وهو المحرك الأساسي له، لذلك لابد من بذل الجهود لتطوره وبناء شخصيته، ومن وأهم العوامل التي تساهم بشكل أساسي في بناء شخصية الفرد المسلم من خلال ما جاء به القرآن:

**العلم:** وذلك بالقراءة الواسعة الواعية، واستغلال وسائل التكنولوجيا بأنواعها في خدمة العلم. فهو الوسيلة إلى السيادة والريادة. مع ضمان الحرية الفكرية للفرد، فهي من أهم ما يساعد على الإبداع، والوصول إلى حقائق علمية ما زالت مجهولة لدينا.

**ترسيخ العقيدة** في نفوس الأفراد، لتأكيد الهوية والوقوف في مواجهة الابتذال الحضاري، موجة الإلحاد. وتحرير الإنسان من كافة أشكال الخضوع والطاعة لغير الله.

**الأخلاق:** فحضارة الأمم تبنى بالأخلاق، وتنهار بانهيارها، وما أكرم الله أمة محمد بالرسالة، إلا لما كان لها من رصيد أخلاقي تميزت به عن غيرها.

**العمل والكسب:** فهو مصدر كرامة الفرد، به تستقر الأسر ونقضي على البطالة، وتخف الجريمة، ويحق الرخاء والنماء للمجتمع.

**التوسط والاعتدال:** من أهم الخصائص التي نادى بها القرآن، لإيجاد شخصيات متوازنة، تجمع ولا تفرق، تحبب ولا تنفر، وتسهم بقوة في رأب الصراع بين الأطراف المتناحرة، وإخراج المجتمع بحكمة إلى بر الأمان.

**وأخيرا:** أي بناء للفرد، لا يعود بالنفع والخير ولا يساهم في تنمية المجتمع فلا قيمة له، لذلك كانت منهجية القرآن لبناء الفرد، لتكون منطلقا لبناء ونهضة المجتمع، ومن هنا تأتي أهمية بناء الفرد ومساندة المجتمع والدوله لإحداث بناء حقيقي مستدام، لا يمكن للفرد أن يرقى بدون المجتمع ومن المحال ان تلقى مجتمع راقي بدون أفراده.

### 6. 2. التوصيات:

- إن مسؤولية بناء الفرد، تقع على عاتق الفرد أولا وأخيرا. لذلك أوصي كل شاب بأن يفتش عن أسباب تعثره في نفسه، ومع الواقع الصعب والفساد المستشري في مجتمعاتنا، عليه أن يسلك كل السبل لتحقيق ما يصبوا إليه. ولا ينتظر قوة خارقة لإنقاذه.

- على الآباء والأمهات إعداد أولادهم إعدادا كاملا للحياة التي يقبلون عليها، وتزويدهم بكافة العلوم، وشحذ الهمم في طلب العلم، كما أوصي المقبلين على الزواج ذكورا وإناثا بحسن اختيار شريك الحياة، كأول خطوة في طريق بناء الفرد وتطوره مستقبلا.

- على المجتمع أن يقوم بمسئولية بناء أفراده، ممن فقدوا عائلهم، أو ممن سحقتهم الظروف والحروب، وما أكثرهم اليوم، لا بد من تبني المجتتع لكفالة هؤلاء بخطة منظمة وعمل إحصاءات لهم ولأسرهم، ومن ثم استهدافهم من قبل التجار والموسرين، ليكملوا تعليمهم، وسد حاجة العاطلين بالقيام بمشاريع التمكين الاقتصادي بحيث يكون لكل فرد حرفة يعف بها نفسه وأسرته.

- ووصيتي للدول بضرورة توفير المناخ وتفعيل القوانين التي تحفظ وتحمي ممتلكات المواطنين، مما يتيح الفرصة أمامهم للمساهمة في النهوض بالمجتمع ونموه الاقتصادي.

- الجهود التربوية والفكرية التي تبذل لبناء الأفراد، اليوم وغدا، يجب أن تقوم على مراعاة الفوارق الفردية، والتشجيع على التفكير الحر، كذلك إعادة النظر في المناهج الدراسية بما يتناسب مع التحديات الراهنة.

- إن الأمة الإسلامية بحاجة ماسة في هذه الظروف الحرجة إلى إعداد جيلا قويا متسلحا بالعلم والإيمان، ومتحليا بالحكمة والشجاعة معاً، آخذا بأسباب القوة المعنوية والمادية، وأن تتخلص من شوائب الفرقة والشذوذ، وتجتمع على البر والتقوى، وتقدم مصلحة الوطن. وهذا يقع على عاتق الجميع تحقيقه، لذلك لا بد من بذل المزيد من الجهود، وتخصيص موارد الدولة، ورصد أعلى الميزانيات لدعم قطاع التعليم ورفد المعلم والعملية التعليمية بما يلزم ماديا ومعنويا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## قائمة المصادر:


- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم. مصحف المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. الإصدار: الأول.
- ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (1416هـ/1995م)، تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير))، ط1، تحقيق: أحمد شمس الدين. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.، الطبعة: الأولى.
- ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (1388 هـ - 1968 م)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، ط، المحقق: عمار طالبي، الناشر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (1416هـ/ 1995م)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.
- ابن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، القيرواني (1425هـ/ 2004م)، ط1، تفسير يحيى بن سلام، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي (1984م)، التحرير والتنوير، د. ط، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام (1422هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، حققه: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (1979م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د. ط، الناشر: دار الفكر، مصر.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (1999م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (1414هـ)، لسان العرب، ط3، الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان.
- أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (1412هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط1، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق- بيروت.
- الأرمي، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الشافعي (1421 هـ - 2001 م)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ط1، إشراف ومراجعة: دكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان.
- الأزهري، تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (2001م)، المحقق: محمد عوض مرعب، ط1، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (د. ن)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ط1، دار طوق النجاة.
- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، "في الإنسان" دراسة قرآنية، ط2، دار المعارف- القاهرة،
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (2003م)، السنن الكبرى: تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط2، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (2003م)، شعب الإيمان، حققه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد.، ط1، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض.
- التويجري، محمد بن إبرهيم (2015)، إحصائيات القرآن الكريم، الموقع الرسمي، متاح على الرابط: https://www.hatha-alislam.com/articles/2?fb_comment_id=846786048722420، تم الدخول في (7/ 3/ 2024).
- الجاوي، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: 1417 هـ)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تحقيق: محمد أمين الصناوي، ط1، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (1403هـ -1983م)، كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلما ء بشراف الناشر، ط1، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان.
- الجليند، محمد السيد الجليند (2015م)، الوحي والإنسان - قراءة معرفية، الناشر: دار قباء للطباعة والتشر والتوزيع (القاهرة).
- جودت بن سعيد بن محمد (1993م) اقرأ وربك الأكرم، ط2، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان.
- حسن، عبد الباسط محمد ( 1911م) أصول البحث الاجتماعي، ط6 ، مكتبة وهبة، القاهرة.
- حوّى، سعيد بن محمد ديب حوّى (1424 هـ)، الأساس في التفسير، ط6، الناشر: دار السلام – القاهرة.
- الخطيب، عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن. الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
- داود، ليلى (1991)، "الفرد"، موقع: الموسوعة العربية الشاملة،14 (/ 386)، متاح على رابط: https://mail.arab-ency.com.sy/details/12029، تاريخ الزيارة: 6 مارس.
- الددو ، محمد حسن الددو(د.ت)، محاضرة عن دور الفرد المسلم في بناء المجتمع. رابط: https://www.dedewnet.com/index.php/fiker-745islam.html?view=media&id=. تاريخ الزيارة: 7/ 3/ 2024م.
- دروزة، محمد عزت (1383هـ)، التفسير الحديث، ط1، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة.

- دوقية، فاطمة الزهراء دوقية (2023)، مركزية دور الإنسان في بناء العمران، متاح على الرابط: A8%9D%2B%8D%83%9D%1B%8D%85%9https://shuhoud.com/%D تاريخ الزيارة: 6/ 3/ 2024.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (1420هـ)، مفاتيح الغيب، ط3، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (1407هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- السبت، خالد بن عثمان السبت (2005م)، مختصر في قواعد التفسير، ط1، الناشر: دار ابن القيم، الرياض، السعودية.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (1420هـ/ 2000م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة: الأولى.
- سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (1412 هـ)، في ظلال القرآن، ط17، الناشر: دار الشروق – بيروت.
- الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (97م ـ). تفسير الشعراوي، (د.ن) الناشر: مطابع أخبار اليوم، القاهرة.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (1415هـ/ 1995م)، د: ط، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (1414هـ)، فتح القدير، ط1، الناشر: دار ابن كثير، الكلم الطيب - دمشق، بيروت.
- صليبيا، د. جميل صليبا (1982م)، المعجم الفلسفي، الناشر: دار الكتاب اللبناني الجزء: الجزء الثاني.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، لبنان.
- عمر، أحمد مختار عبد الحميد عمر (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، الناشر: عالم الكتب.
- الفوال، صلاح مصطفى، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق، ط1، دار الفكر العربي.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (1964م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، مصر.
- المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (1946م)، تفسير المراغي، ط1، الناشر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- المولوي محمد التهانوي (١٩٦٣م)، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع، الناشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (1419ه)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، ط1 الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان.
- ويكيبديا الشبكة العنكبوتية، على الرابط: AF%8D%1B%8D%81%9https://ar.wikipedia.org/wiki/%D. تاري الزيارة: 5/ 3/ 2024.

# ڕێبازی قورئان لە پێکهێنانی تاکی موسڵمان ( لێکۆڵینەوەی بابەتیی)

**حياة علي عبد الولي**
إستاذ مساعد – تفسير وعلوم قرآن،كلية العلوم الإنسانية، جامعة
السعيد – تعز – اليمن
Hoorerfan17@gmail.com

**پوختە**
ئەو مەترسیانەی کە ئەمڕۆ لە بەردەم کۆمەڵگا ئیسلامییەکاندایە، لەوانە ململانێ یان شەڕی ناڕاستەوخۆی ناڕاستەوخۆی ناوخۆیی و دەرەکی، کۆمەڵگا ئیسلامییەکانی بەرەو ناسەقامگیری برد و خەڵکی لە ئاسایش و سەلامەتی بێبەش کرد. بەهۆی ئەمەوە زۆر کەس هەستی بێزارییان هەیە و دەبنە سووتەمەنی بۆ ئەم ململانێ هەرگیز کۆتایی نەهاتووانە. هەروەها شەڕ و ململانێکان زۆر شتی خراپی وەک گەندەڵی و هەژاری و پشێوی کۆمەڵایەتی بەرهەم هێنا. لە هەمان کاتدا ڕۆڵی دامەزراوە مەدەنی و گەشەپێدانەکان دابەزی. ئێستا زۆر کەس بەرژەوەندییە شەخسییە تەسکەکانیان لە بەرژەوەندی کۆمەڵگا پێ باشترە. کۆمەڵگا لەبری ئەوەی کۆمەڵگایەکی بەرهەمدار بێت گۆڕاوە بۆ تەنها کۆمەڵگەی بەکاربەر. خراپ بەکارهێنانی سۆشیال میدیا بووە هۆی ئەوەی کە ئەخلاقی خراپ و هەڵە لەناو خەڵکدا دروست بێت.. لەبەر ئەم هۆکارانە گرنگە دۆخەکە بگۆڕدرێت و چارەسەر بکرێت. بەو پێیەی گۆڕانکارییەکە بەبێ پەروەردەکردنی خەڵک لەسەر بنەما و فێرکارییەکانی قورئان ناتوانرێت ڕووبدات، دۆزینەوەی دیدگای قورئان لە پێکهێنانی تاکی باشدا، لە پرۆسەی چارەسەرەکەدا زۆر گرنگە. ئەم توێژینەوەیە بۆ گەیشتن بەم ئامانجە ئەنجامدراوە. توێژینەوەکە گەیشتە دیدگای قورئانی پیرۆز بۆ تاک، هۆکارەکانی کاریگەری لەسەر بنیاتنانی تاکی موسڵمان و ئەو بەرهەمانەی کە بەهۆی پابەندبوون بەو شتانەی قورئان دەیڵێت، بۆ کۆمەڵگا کۆدەبنەوە. بەمەش دیدێکی ئیسلامی دادەمەزرێنێت کە بۆ هەموو کات وشوێنەکان ڕەوا بێت.
**وشە سەرەکییەکان:** نزیکبوونەوە -دروستکردن –تاک.

# The Qur’an’s Approach in Forming Muslim Individual (Objective Study)

**Hayat Ali Abdel-Wali**
Interpretation and Sciences of the Qur’an
College of Human Sciences، Al-Saeed University، Taiz، Yemen.
Hoorerfan17@gmail.com

**Abstrac**
Dangers that are facing Islamic societies today، including direct indirect internal and external conflicts or wars led Islamic societies to instability and deprived people of their security and safety. Because of this، many people have the feeling of frustration and become fuel for these never-ending conflicts. Wars and conflicts also produced many bad things such as corruption، poverty and social disorders. At the same time the role of civil and development institutions declined. Many people now prefer their narrow personal interests on society interests. Society has changed to just consumer society instead of being a productive one. The misuse of social media led to bad and wrong morals among people. For these reasons، it is important to change and remedy the situation. Since the change cannot happen without educating people on the principles and teachings of Quran، finding the vision of the Quran in forming the good individual is crucial in the process of the remedy. This study was carried out to achieve this aim. The study reached to the Holy Qur’an’s view of the individual، factors influencing building the Muslim individual، and the fruits that accrue to society because of compliance with what the Qur’an says. This will establish an Islamic vision that is valid for all times and places.
**Keywords:** approach -forming –Individual.